حو أسرة سعيدة
١

شريك حياتى

... من فضلك ...

افهمنى

د. أسامة أبو سلامة

شريك حياتي

من فضلك .. افهمني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٣١٧٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N

978-977-456-055-2

دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع

١٨ شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - ت: ٠١٠١٠٦٨١٢٥

newandalus@hotmail.com

٤ / ١٠١
س ا ش

نحو أسرة سعيدة

شريك حياتي

من فضلك ... افهمني

د. أسامة يحيى أبوسلامة

إهـــداء

إلى والداي الكرام ...

كم كانا للعطاء رمزاً وللتضحية عنوانا ...

فلهما كل تقديري وحبي.

إلى زوجتي ... شريكة عمري ورفيقة دربي ...

كم علمتني ... وتحملتني.

إلى بناتي وابني ...

حبات قلبي . . . وفلذات كبدي . . . وقطرات دمي.

... بهذه الكلمات ...

أهدي ...

٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــــدمة

الحمدلله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً يرضيه، وصلاةً وسلاماً على رسوله الكريم، أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، المصطفي الأمين ... وبعد.

فإن من أبدع ما خلق الله ﷻ في هذا الكون ذاك "الإنسان" ... وصوره - بقدرته - في أحسن تقويم ... وأكرمه - بفضله - أبلغ تكريم ... خلقه الله بيديه هو ... ونفخ فيه من روحه هو ... وعلمه الأسماء كلها ... وأسجد له الملائكة المكرمين ... والذي أبى السجود طرد من رحمته سبحانه ... ثم أسكنه جنته ليعلمه أنها موطنه الأصلي، وليكسبه بذلك حنيناً لها وشوقاً إليها ... ولما عصى أنزله إلى الأرض ... وسخر له ما فيها وما في السموات أيضاً

... ثم ...

... لم يتركه - برحمته - ضائعاً تائهاً مكباً على وجهه، إنما أرسل إليه كوكبة كريمة من الرسل والأنبياء، تضرب بجذورها في عمق الزمان، وتتشعب بفروعها في عرض المكان، لا لتهديه إلى طريق الحق وإلى صراط مستقيم فقط ... ولكن ... لتعلمه أيضاً من أمور دنياه ما لم يعلم ...

... كم أنت غالٍ عند ربك أيها الإنسان ....

وأقلت الأرض على ظهرها ذلك الإنسان ... والذي تحمل أمانة استخلاف الله له عليها ... تلك الأمانة التي سبق وأن أبت السموات والأرض والجبال حملها.

وأودع الله ﷻ في هذا الإنسان كل ما يؤهله لحمل هذه الأمانة والقيام بتبعاتها، وقسم بين شقيه ... الرجل ... والمرأة ... الأدوار، ووزع المهام، بشكل متناسق خلاب يضمن الانسجام والتوازن والتكامل لدوريهما في حمل هذه الأمانة.

وارتضى الله سبحانه ـ بحكمته ـ أن تقام بين الرجل والمرأة وشيجة طاهرة كريمة، في إطار رباط زوجية وثيق، له من القداسة الخاصة ما له، فكان وسيلةً للسكن والراحة وسبباً للمودة والرحمة وسبيلاً لتكاثر البشر وإعمار الأرض. وعاش الرجل والمرأة بهذا الرباط سوياً ... يظللهم سقف واحد ... يقتسمان تحته الخبز والماء ... الفرش والغطاء ... المتاع والأبناء ... كما يقتسمان فيه الحلم والأمل ... الحاضر والمستقبل ... الضحك والبكاء ... سواءً بسواء.

نعم عاشا معاً ... ولكن ... منهم من عاش هنيئاً سعيداً قرير العين ... وقليل ما هم ... بينما أكثرهم شاب حياته شيئٌ من كدر ... قل أو كثر ... وآخرون لم يكتب لهم العيش سوياً إلا يسيراً.

... نعم عاشا معاً ... ولكن ربما لم يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة ... ولم يفهم كل منهما الآخر تمام الفهم.

لقد حُرم الرجل ـ الشرقي بالذات ـ وكذلك المرأة، من تلقي أي قسط كريم من معرفة أحدهما للآخر معرفة حقيقية مباركة، تؤهلهما للعيش السعيد الهنيئ معاً. فلقد حرمتهم أجهزة الإعلام ونظم التعليم وأدوات الثقافة من توفير حصة مناسبة وقورة من هذه المعرفة. بل إن ما قدمته ووفرته وأغدقت به هذه الأجهزة والنظم والأدوات من معارف في هذا الجانب أصاب التصورات الخاصة بالعلاقة الطاهرة الكريمة المفترضة بين الرجل والمرأة بملوثات اجتماعية أخلاقية أحالتها إلى خيالات تافهة شوهاء، همشت الأدوار وقزمت الأهداف وحقرت النوايا، فوقع على أثرها الرجل والمرأة إما فريسة لجهل أو ضحية لزيف أو غنيمة لجسد. وواكب هذا تغييب القدوات السامقة الصالحة الفالحة ـ التي يجب أن يحتذى بها ـ عن الناس، وإبراز النماذج الوضيعة الفاسدة الطالحة ـ التي تنكب

من يتبعها في الدنيا والآخرة - أمام الناس، فارتكست العلاقة بين الرجل والمرأة تحت وطأة هذه الضربات إلى وهدة أبعدتها كثيراً عن أدائها الإنساني الراقي المنشود.

فأضحى من المُلح أن يتوافر للرجال والنساء ... الشباب والفتيات ... حد أدنى من مادة تعينهم على أن يتعرف كل منهما على الآخر ويتفهم كل منهما الآخر، ليمارسا معاً حياة زوجية سعيدة هنيئة ناجحة ـ وتلك أول أهداف هذا الكتاب ... الموضحة في بابه الأول.

... ثم ...

... في بابه الثاني، تم تبيان إعجاز التشريع الإسلامي في تقرير حقوق الرجل والمرأة. كل على ضوء أدواره ومهامه، وعلى قدر إمكاناته وقدراته، وعلى حسب طبيعته ونفسيته، بروعة مذهلة ودقة بالغة، بلا أي ظلم أو أدنى محاباه.

وأحسب أني في هذا الكتاب قد حاولت الوفاء بهذا الحد الأدنى اللازم لذلك، ولكني لا أدعي الكمال فهو لله وحده، فما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما كان من توفيق فمن الله وما كان من تقصير فمن نفسي.

وإنه من باب إرجاع المعروف لأهله، فقد كان لأخي الدكتور: أشرف عبد العظيم أبو زيد أخصائي التخدير الفضل في أن تبرق بذهني فكرة هذا الكتاب، وأن تشغل - بعد ذلك - قلبي وعقلي. كما أنني استفدت أيما استفادة من المناقشات المثمرة والمراجعة القيمة التي أمدني بها كل من أستاذي الكبير الكريم الدكتور: وجيه السيد السعداوي، الأستاذ المتفرغ بكلية العلوم جامعة عين شمس والدكتور: زكي طه، الأستاذ بكلية الحاسبات والمعلومات جامعة عين شمس. ولا يفوتني أيضاً أن أشير إلى توفيق الله لي في اصطياد ما يثري مادة هذا الكتاب من تلك البحيرة الهائلة من المعلومات المتوافرة بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) والتي لا أستطيع أن أفي بحق كل من ساهم بعلمه في إنمائها بكل ما هو مفيد ونافع.

وإني لفي شوق كبير لاستقبال آراء وإضافات القراء الكرام على بريدي الألكتروني ... يكن لي عوناً ـ بمشيئة الله ـ في إثراء أكثر لمادة هذا الكتاب بالمستقبل.

وإني لأسأل الله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أجاب، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن تثقل به موازين حسناتي يوم القيامة ... وأن ينفع الله به الناس ... كل الناس ... آمين ...

... إنه سبحانه على ذلك لقدير، وبالإجابة جدير، فهو نعم المولى ونعم النصير ... وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

المؤلف

د. أسامة يحيى أبو سلامه

E. mail: usamaabousalama@yahoo.com

أغسطس ٢٠٠٦

الباب الأول

نظرات في نفسية الرجل والمرأة

حقائق نفسية خاصة بالرجل والمرأة ... كثير عددها ... بليغ أثرها ... ولكنها ... غائبة عن أذهاننا ... يجب ـ إبتداءً ـ تجليتها، لنستضيئ بها أثناء تجوالنا في رحلتنا المباركة هذه لسبر أغوار أنفسنا رجالاً ونساءً، ولنسترشد بها في تعميق وتصحيح فهمنا لشريك الحياة. ومن هذه الحقائق الكثيرة المؤثرة الغائبة الآتي:

(١) لكل من الرجل والمرأة خصائص نفسية مختلفة تماماً عن الآخر، وهي تبدو على طرفي نقيض.

(٢) الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة هي حلقة من حلقات الاختلافات الكثيرة بين الجنسين، والتي بنيت على اختلاف أدوار ووظائف كل منهما.

(٣) الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة ليست اختلافات تفضيلية مبنية على فوقية جنس ودونية آخر، ولكنها اختلافات في جوهر طبيعتها تكميلية.

(٤) بسبب الجهل بتلك الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة، خيم سوء الفهم بين الزوجين. فالرجل يتهم زوجته بأنها ثرثارة ـ حساسة ـ سطحية ـ أقل عقلاً ـ عاطفية ـ ضعيفة ...، والمرأة تتهم زوجها بأنه صامت كالجبل ـ بارد كالثلج ـ بئر بغير قاع ـ فاقد الإحساس ـ متغطرس ـ عينه زائغة ـ لا أمان له ... ففقدت بهذا الجهل الكثير من البيوت متعة الحياة الأسرية السعيدة الناجحة، وربما أطاح ذلك باستقرارها أو حتى باستمرارها.

(٥) من أهم أسباب الخلافات الزوجية أن الرجل يتعامل مع زوجته وكأنها ينبغي أن تكون - من حيث التكوين النفسي - "رجلاً مثله " ..!!.. والمرأة كذلك تتعامل مع زوجها وكأنه ينبغي أن يكون - من حيث التكوين النفسي - "امرأةً مثلها"..!!.. كيف هذا؟ ... ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٦) لا عضوياً ولا فسيولوجيا (وظائف الأعضاء) ولا نفسياً.

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

(٦) أساليب النساء بالنسبة للنساء، وكذلك أساليب الرجال بالنسبة للرجال صحيحة وطبيعية ومنطقية. ولكن بسبب الجهل بالاختلافات بين الرجال والنساء، قد يبدو للرجال أن أساليب النساء وكذلك يبدو للنساء أن أساليب الرجال غير صحيحة وغير طبيعية وغير منطقية.

(٧) إن تفهم الاختلافات بين الرجل والمرأة سوف ييسر على كل طرف استيعاب دوافع حدوث الكثير من الأمور التي تبدر من الطرف الآخر، وبالتالي قبولها والتعامل معها بعلم وحكمة وبتقدير وفير واحترام كبير، مما يتيح إنبات وإنماء حياة زوجية لا تعرف ضيقاً ولا شقاءً ... وتتسم بالحب والهناء.

(٨) إن الأهداف من معرفة الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة هو حض كل طرف على أن:

أ) يتعرف على طبيعة نفسه ويتعرف على طبيعة الطرف الآخر المختلفة عنه، واضعاً نصب عينيه أن "**شريكك حياتك ليس أنت**".

ب) يقبل شريكه بطبيعته المختلفة عنه، فلا يحاول احتلاله إنسانياً ولا استعماره فكرياً ولا استغلاله إقتصادياً ولا ارغامه تربوياً ولا إرهابه نفسياً، بل يرنو لمعرفة أفضل الطرق للتعامل معه.

ج) يكف عن إصدار الأحكام السلبية على شريك حياته، فالإختلافات النفسية بين الزوجين لا تجلب الخلاف ولكن الذي يجلبه هي الأحكام السلبية التي مبعثها هذه الاختلافات.

د) يسعى الرجل، من خلال فهمه لزوجته وحبه لها وعشرته الطيبة معها، إلى تقوية الجوانب الأنثوية داخله مع احتفاظه بخصائصه الذكرية في توازن رائع. وكذلك المرأة أيضاً، تسعى من خلال فهمها لزوجها وحبها له وعشرتها الطيبة معه إلى تقوية الجوانب الذكرية داخلها مع احتفاظها بخصائصها الأنثوية في توازن رائع. فإذا ما تنامت هذه الجوانب لدى الزوجين، تم بينهما التكامل والتواصل والانسجام والاندماج والانصهار.

(٩) إن الرجولة والأنوثة الكاملتين هما افتراض عقلي لا وجود له في الواقع، وأن التجارب العلمية تؤكد أن هنالك نسبة أنوثة في الرجال ونسبة رجولة في النساء، وأن هذه النسب تتفاوت لدى كل إنسان. ولذلك لم ينحصر وجود صفات الذكورة في الرجال فقط، ولكنها توجد أيضاً وبدرجة أقل في النساء. فالمرأة في داخلها الكثير من صفات الأنوثة ... واليسير من صفات الذكورة. وكذلك لم ينحصر وجود صفات الأنوثة في النساء فقط، ولكنها توجد أيضاً وبدرجة أقل في الرجال. فالرجل في داخله الكثير من صفات الذكورة ... واليسير من صفات الأنوثة. أضف إلى ذلك أن هناك بعض الرجال لديهم صفات ذكورة أقل من الآخرين، وأيضاً هناك بعض النساء لديهن صفات أنوثة أقل من الأخريات.

(١٠) لأنه يختلف عنها ... وهي تختلف عنه ... استأثر بأحوال نفسية خاصة به لا توجد عندها. وبالمثل هي أيضاً، استأثرت بأحوال نفسية خاصة بها لا تتوافر لديه أبداً.

(١١) وستظل الحقيقة التي لا يمكن غض الطرف عنها ولا تجاهلها قائمة وهي أن الزوجين ... مهما اختلفا ... ومهما تجافا ... فإن أحدهما لا يتحمل العيش وحيداً ... عن الآخر بعيداً ... وستظل المرأة ... كزوجة ... هي السكن الدفئ والمحبة الوارفة، وسيظل الرجل ... كزوج ... هو العضيد القوي والصاحب الأمين.

الفصل الأول

أهم الاختلافات بين الرجل والمرأة وأثرها السلوكي

بالرغم من أن الاختلافات العضوية والفسيولوجية والنفسية التي بين الرجل والمرأة قد بلغت شأواً بعيداً، جعلتهما وكأنهما أتيا من عالمين مختلفين، فقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يعيش الرجل والمرأة معاً ... متجاورين ... ملتصقين ـ مضفورين ـ ملتحمين ... ذائبين ...

فلماذا يوجد اختلاف بينهما؟ ...

تتسم الأدوار والمهام الملقاة على عاتق كل من الرجل والمرأة بتباينها في الأساليب، وتناقضها في الوسائل، وتكاملها في الأداء، وتماثلها في الأهداف، وهي موزعة بينهما توزيعا يتناسب مع طبيعة القدرات والإمكانات المذخورة في كل منهما. من أجل ذلك، وهب الخالق ﷻ لكل من الرجل والمرأة تركيبة عضوية وفسيولوجية ونفسية خاصة تتواءم مع أداء تلك الأدوار والمهام. وإنه من الطبيعي أن يكون للرجل تكوين عضوي وفسيولوجي ونفسي خاص لا يشبه ذات التكوين عند المرأة، ليكون مؤهلاً لخوض معتركات الحياة الوعرة، قادراً على الصدام والمقاومة، حرياً بالمنافسة والمغالبة، جديراً بمواجهة المشاكل وتخطي الصعاب ... وكل ذلك ليس عند المرأة ... وإن وجد فلن يكون بمثل هذا العمق. وإنه من الطبيعي أيضاً أن يكون للمرأة تكوين عضوي وفسيولوجي ونفسي خاص لا يشبه ذات التكوين عند الرجل، ذلك لأن العناية بالزوج والقيام بشؤون البيت والإنجاب والإرضاع وملازمة الصغير ومداومة تعهده والتجاوب الشعوري معه تستلزم أن تحوز المرأة كماً ضخماً من المشاعر وطاقة نفسية خاصة يتوافر بها تجانس كبير بين مزاجها ومزاج صغيرها، ولذلك لا تخلو أطوار حياتها من صباها الباكر إلى شيخوختها المتأخرة من مشابهة للطفل في الرضا

والغضب، وفي التدليل والمجافاة، وفي حب الدعابة ممن يعاملها ... وكل ذلك ليس عند الرجل ... وإن وجد فلن يكون بمثل هذا العمق.

وسنتناول بشيئ من الإيجاز أهم هذه الإختلافات وأثرها على سلوك كل من الرجل والمرأة:

أولا : في التركيب العضوي والفسيولوجي:

لأن الأدوار والمهام والوظائف للرجل والمرأة مختلفة، كان حتماً أن يكون التركيب العضوي والفسيولوجي لكل منهما مختلف. ومن هذه الإختلافات ما يأتي:

(١) الاختلافات الظاهرة بين الرجل والمرأة في الشكل العام، كالاتساع النسبي لمنطقة الحوض وكبر حجم الثديين بالمرأة دون الرجل، لتناسب دورها أثناء الحمل والوضع وحين الإرضاع. وبالمقابل، يتناسب عرض المنكبين بالرجل دون المرأة مع المهام الجسدية الشاقة الموكولة إليه.

(٢) الاختلافات المعروفة بين الرجل والمرأة في الأعضاء التناسلية شكلاً وتركيباً ووظيفةً، لتتناسق مع أدائها لدورها في عملية التناسل والحمل والوضع.

(٣) الأحبال الصوتية لدى الرجل تختلف عن تلك التي لدى المرأة في الطول والوزن والسمك، ويعد هذا أحد الأسباب الهامة لوجود فارق واضح بين صوتي الرجل والمرأة. وقد تلعب غلظة صوت الرجل دوراً في خوض بعض صراعاته خارج المنزل، وربما تساعده أيضاً في تدعيم دوره داخله، بينما تعتبر رقة صوت المرأة من محسنات أدائها داخل المنزل مع الزوج والأبناء، وخارجه في إنماء علاقاتها الاجتماعية.

(٤) يتمتع الرجل بهيكل عظمي أكبر وأقوى ونسبة كثافة للعظام أكثر من المرأة، كما أن عضلاته أقوى منها، الأمر الذي يعينه على تحمل الأعمال التي تستلزم المشاق الجسدية.

(٥) عدد كريات الدم الحمراء أقل عند المرأة بنسبة حوالى ٢٠٪ مما عند الرجل، ولذا كان من الطبيعي أن تصاب المرأة بالإجهاد عند قيامها بعمل شاق أسرع من الرجل الذي يقوم بنفس العمل. أما الرجل فيحوز ـ بسبب النسبة العالية من كريات الدم الحمراء ـ على نسبة أعلى من الغذاء والأكسجين وبالتالي تتوافر لديه طاقة أكبر، الأمر اللازم لحركته الدؤوبة ونشاطه الجسدي الشاق.

من الاختلافين السابقين يتضح لنا أنه من الغبن ـ أي غبن ـ أن يُطلب من المرأة تأدية أعمال مثل التي يؤديها الرجل ... إننا بذلك نظلم كلا الطرفين ... عاملنا المرأة مثل الرجل وفي هذا ظلم لها، أو اعتبرنا الرجل مثل المرأة وفي هذا ظلم له، كقول العقاد "**إذا ساويت بين مختلفين فقد ظلمت الإثنين**"، لأنهما ليسا سواء ... ولا يمكن أن يكونا سواء ... في القدرة على تحمل المشاق الجسدية.

كما أنه يجب على الرجل أن يعامل زوجته بلطف ورقة لأنها ... ببساطة ... أضعف منه وأرق ... ولأنها ... ببساطة أيضاً ... هكذا ينبغي أن تعامل. إن شدة اللطف واللين مع النساء هو درس وعيناه من نبي الرحمة ﷺ عندما كان في أحد أسفاره، فقال لسائق الإبل: "**رويدك يا أنجشة ... لا تكسر القوارير**" (متفق عليه)، يعني ترفق في السير من أجل النساء اللائي يمتطين ظهور الإبل بالهوادج.

(٦) المرأة ـ منذ بلوغها ـ لا تكاد تعرف استقراراً هرمونياً، فأحداث الدورة الشهرية وما يسبقها ويصاحبها ويعقبها من تغيرات هرمونية ونفسية تجعلها تتأرجح بين حالات إنفعالية متباينة متقاربة متسارعة. وما يواكب وهن الحمل من تغيرات جسدية وهرمونية ونفسية تجعل المرأة بين الشوق والزهد، وبين القبول والرفض، وبين الرجاء والإحباط، وبين الطمأنينة والخوف، طيلة شهورالحمل. ثم يعقب ذلك آلام الوضع وما ينجم عنها من قدوم لوليد صغير كثير الاحتياجات شديد التقلب، فتعكف الأم عليه مسؤولة، متحملة بكائه، مبدلة ليلها إلى نهار، ساهرة على راحته، ملبية لمتطلباته. ثم تعاني المرأة عندما تكبر من آثار انخفاض مستوى هرمون الأستروجين في الدم بعد انقطاع الدورة الشهرية. هذا

التنوع الهرموني لدى المرأة يُمَكِّنُها وبسهولة من تكييف حياتها وبسرعة مع الواقع، كما يساعدها على أداء إلتزاماتها كزوجة وأم، ويجعلها أكثر مرونة وقابلية لعملية التغيير والتأقلم من الرجل. هذا التنوع الهرموني نفسه هو الذي يؤدي أيضاً إلى التقلب المزاجي الذي يزعج الزوج كثيراً.

أما الرجل فلا يتعرض لمثل هذه التغيرات الهرمونية، مما يجعله غير مؤهل وبسهولة لتغيير أنماط حياته بنفس ذات السرعة التي لدى المرأة.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

- تكون العروس - في العادة - ألين وأكثر قابلية لعمليات التطبيع والتأقلم مع عريسها منه هو. وهذا من رحمة الله ﷻ بالأسرة الناشئة.

- لا يستطيع الرجل تحمل بكاء طفله الرضيع ليلاً، لذا قد يذهب إلى غرفة أخرى للنوم أو يطلب من زوجته مغادرة الغرفة حاملة معها الصغير حتي يستطيع النوم ... وهنا قد تظن المرأة أنه لا يشاركها في تحمل مسؤولية الرضيع، وأنه أناني، ولا يفكر إلا في راحته، وأنه ... وأنه ... ولكن الأمر خلاف ذلك تماماً ... الأمر ببساطة يكمن في طبيعة هرموناته التي لا تساعده ألبته على تحويل ليله إلى نهار من أجل طفله ... ولكن المرأة - على النقيض - تستطيع ... وبسهولة -. الأمر الذي يثير عجب وإعجاب الزوج لقدرتها الفائقة الخارقة - في نظره - على تحمل الرضيع والسهر معه وله طوال الليل.

(٧) تمتلك المرأة مهارات إدراكية وحسية تفوق كثيراً تلك التي يحوزها الرجل، فدورها كإبنة وزوجة وأم يتطلب منها القدرة على الاستشعار الدقيق لأي تغير مزاجي وسلوكي لدى الآخرين ينم عن معاناة من شيئ أو احتياج لشيء، وهو ما يعرف **بحدس المرأة**.

إن قابلية المرأة لاستخدام الحدس أكبر بكثير من ذات القابلية التي لدى الرجل. إن استخدام المرأة لحدسها - بالإضافة إلي عاطفتها الجياشة - يعلل كون المرأة أسرع من الرجل في إصدار الأحكام في المواقف وعلى الأشياء. كما يعلل - إلى حد ما - عدم تأني المرأة عند سماع كلام محدثها وتعجلها بمقاطعته، ذلك

لأنها ـ باستخدام الحدس ـ تستنبط باقي الحديث، فليس هناك من مبرر لإضاعة الوقت وسماعه كاملاً!!.

(٨) تتمتع المرأة بمخروط رؤية محيطية واسع يقدر بـ ٤٥° لكل جانب من رأسها وأسفل وأعلى أنفها، وقد تصل فاعلية الرؤية المحيطية لبعض النساء إلى قرابة ١٨٠°. أما الرجل فمجال رؤيته المحيطية ضيق ولكنه طويل المدى مبرمج على المسافات الطويلة. ويفسر هذا ما يواجهه الرجل من صعوبات عند البحث عن بعض متعلقاته كسلسلة مفاتيحه مثلاً رغم وجودها في متناول يده، وعدم عثوره عليها رغم وجودها أمامه، وسهولة عثور زوجته عليها.

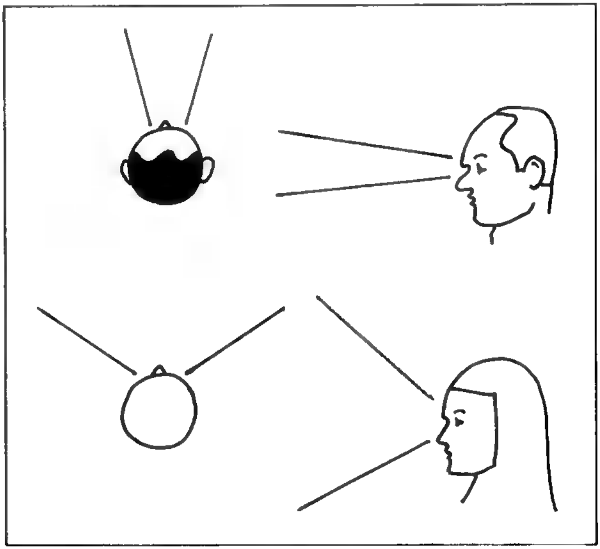

إنه يحتاج ـ بسبب رؤيته المحيطية الضيقة ـ ليدير بصره ورأسه كثيراً ... ويمعن النظر طويلاً ... فيمل ويتعب سريعاً. ولكنها لا تحتاج لذلك كله ـ لرؤيتها المحيطية الواسعة النطاق ـ لأنها تتمكن من رؤية معظم ما حولها دون أن تحرك رأسها إلا قليلاً.

(٩) ينقسم مخ الإنسان انقساماً جزئياً إلى نصفي كرة، بواسطة شق طولي غائر. ولكل نصف وظائفة الخاصة التي تختلف كلية عن وظائف النصف الآخر. فالنصف الأيمن معني بالإبداع والميول الفنية والإبصار والأفكار والخيال والشمولية والقدرات الحركية والمكانية وغيرها. أما النصف الأيسر فمعني بالرياضيات والمهارات اللفظية والاستدلال والتحليل والنظام وملاحظة التفاصيل الدقيقة وغيرها. ويتصل النصف الأيمن بالنصف الأيسر عن طريق الجسم المندمل وهو عبارة عن حزمة ليفية تقع بين النصفين وتربط بينهما كالقنطرة. وعن طريق هذا الجسم يتبادل النصفان المعلومات، ويتم التآزر بينهما فيما يختص بالأنشطة العضلية. ويرجح العلماء منذ وقت بعيد أن الرجل يميل لاستخدام نصف الكرة المخي الأيمن أكثر، بينما تميل المرأة أكثر نحو استخدام نصف الكرة المخي الأيسر.

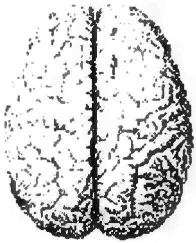

مخ الإنسان

ولقد وجد أن الجسم المندمل في مخ المرأة أكثر كفاءة في تحقيق الإتصال بين نصفي المخ من ذلك الذي لدى الرجل، ذلك لأنه في المرأة أكثر سمكاً عنه في الرجل بحوالي ١٠٪، كما يحتوي على روابط أكثر بحوالي ٣٠٪. ومن هنا كانت المرأة أكثر قدرة ومرونة من الرجل في التحول السريع من استخدام وظائف النصف الأيسر للمخ إلى استخدام وظائف النصف الأيمن والعكس، مما يساعدها كثيراً في التحول سريعاً وبسهولة من حالة إلى آخري ... من الغضب إلى الرضا ... من السعادة إلى الحزن ... من التألم إلى التعاطف ... من عمل بالمطبخ إلى

الاستذكار مع الابن. كما يفسر أيضاً سهولة انجاز المرأة لأعمال عدة في وقت واحد نظراً لسهولة تدفق المعلومات بين شقي المخ عبر الجسم المندمل. أما الرجل فيستطيع أن يقرأ أو ينصت ولكنه يعجز عن أداء المهمتين معاً. كما أنه يحتاج لفترة زمنية أطول لينتقل من حالة إلى أخرى، ولذلك يصعب عليه جداً أن ينتقل من تركيزه في مشكلة بعينها إلى مشكلة أخرى، كأن ينتقل من تركيزة في إصلاح شيئ بالمنزل إلى تركيزه في الاستذكار مع ابنته ... إنه في حاجة لوقت يفصل بين المهمتين.

ينمو النصف الأيسر من المخ - وهو المسئول عن تطور اللغة والمهارات اللفظية - عند الطفلة الأنثى بصورة أسرع من نمو ذات النصف عند الطفل الذكر، لذا نجد أن الإناث - غالباً - يسبقن الذكور في الكلام إبان مرحلة الطفولة المبكرة. أما النصف الأيمن من المخ - وهو المتحكم في عمليات الحركة - هو الذي ينمو بصورة أفضل عند الطفل عن مثيله عند الطفلة، ولذا نجد أن المشي لدى الذكور - مقارنة بالإناث - يسبق الكلام في مرحلة الطفولة المبكرة، صحيح أن هذا الفارق يتلاشى بين الصبيان والبنات عند سن المراهقة، حيث يحدث آنذاك توازن في نمو النصفين المخيين، ولكن الخبرة تكون قد اختلفت عند كل منهما، فأصبحت المرأة تجيد التعبير عن نفسها ومشاعرها بأساليب متعددة من المقارنات والتشبيهات والتعميمات اللغوية (خبرة في الكلام)، بينما أمسى الرجل يجيد التعبير عن نفسه بالعمل والإنجاز والصمت (خبرة في الحركة).

يتصف مخ الرجل بالتخصص، لأنه ينقسم إلى أقسام منفصلة تماماً، أما مخ المرأة فيتصف بالتعميم، لأن كلا النصفين يستطيعان القيام بنفس المهام تقريباً. فلا غرو إذن أن ينظر الرجل إلى الأمور من منطلق التخصص والتركيز، لأنه - بتركيبة مخه التخصصية - يميل إلى التركيز في أمر واحد. أما المرأة فتنظر إلى الأمور من منطلق التعميم والتوسع، فهي تميل - بتركيبة مخها التعميمية - إلى التوسع في كل أمر.

بالتركيز يربط الرجل الأمور بعضها ببعض على شكل حلقات متواصلة متدرجة، ليصل إلى الصورة كاملة عن الشيء الذي يفكر فيه أو يريد القيام به. وبالتعميم والحدس ترسم المرأة في البداية صورة كاملة عامة للموضوع، ثم تحاول استكشاف الأجزاء المتعلقة بالموضوع، ثم تربط هذه الأجزاء بعضها ببعض بعد ذلك.

ومن الأمثلة التي توضح طبيعة الرجل التركيزية وطبيعة المرأة التوسعية:

- **عند أداء عدة أعمال في نفس الوقت:** تتمكن المرأة من تأدية أعمال عدة في نفس الوقت ولذلك فإنها تستطيع أثناء طهيها للطعام، أن تتحدث في الهاتف، وأن تهتم بصغيرها ... كل ذلك في نفس الآن. ومثلها أيضاً قدرتها على الاستذكار لعدد من أبنائها في نفس الوقت، رغم اختلاف سنوات دراستهم وتباين مناهجهم. أما الرجل فعلى النقيض من ذلك تماماً، فهو لا يستطيع إلا التركيز في أمر واحد فقط. ولذلك عندما يتحدث الرجل بالهاتف فإن تركيزه يكون منصباً نحو الحديث مع الطرف الآخر، ولا يستطيع أن يجمع بين تركيزه في الحديث بالهاتف مع أي عمل آخر، كأن ينصت لزوجته حين تسأله شيئاً أو تخبره عن شيئ، إنه يستطيع الإنصات ولكن من ناحية واحدة فقط، إما أن ينصت لمن يحدثه بالهاتف أو ينصت لزوجته. من أجل ذلك ينزعج الرجل كثيرا - حسب طبيعته - بهذه المقاطعة التي ترى المرأة - حسب طبيعتها - أنها أمر بسيط ويمكن أداؤه بسهولة.

- **عند قيادة السيارة:** إن الرجل عند قيادته لسيارته في مكان ضيق مزدحم يوجه كل تركيزه صوب القيادة، ولذلك ينزعج الرجل كثيراً عندما تحادثه زوجته أو أي شخص آخر أثناء قيامه بذلك.

- **محفظة الرجل وحقيبة المرأة:** تتسم محفظة الرجل بصغر حجمها واحتوائها على أوراق هامة كالهوية ورخصة قيادة السيارة وبعض النقود، ويكون لونها في الغالب إما أسود أو بني أو زيتي، ويندر أن يكون خلاف ذلك. أما حقيبة

المرأة فهي كبيرة الحجم وتحوي بعض النقود وأوراقاً قديمة ومواعيد أطباء وروشتات ودفتر أرقام هواتف وبعض المناديل الورقية وحفاضة أو أكثر للطفل وجورب أو أكثر وبعض الأدوية وأدوات الزينة ودبابيس وقلم وأستيكة وقارورة عطر أو أكثر ومفاتيح تحتاجها أو لا تحتاجها .... إلخ. كما أن ألوانها زاهية متعدده فهي حمراء أو بنية أو سوداء أو صفراء أو زرقاء أو بنفسجية أو ... أو ـ أو مزيج بين بعض الألوان.

۞ **أثناء التسوق:** عندما يريد الرجل شراء غرض ما فإنه يلج السوق، ثم يلتقط هذا الغرض من بين المعروضات، ويقوم بسداد ثمنه، ثم يخرج منجزاً مهمته بسرعة. أما المرأة عندما تدخل السوق فإنها تفحص ما تريد وما لا تريد، وتدقق في السلع، وتقارن بينها، وتشتري ما كانت قد قررت شراءه من قبل وما لم تكن قد قررت شراءه بعد، وتستنفد في ذلك وقتاً طويلاً. ولذلك لا يطيق الرجل ـ بطبيعته الرجولية التخصصية ـ مسايرة زوجته ـ بطبيعتها الأنثوية التوسعية ـ لمدة طويلة بالسوق. وفي هذا إجابة على السؤالين المزمنين المتلازمين ... لماذا لا يرحب الرجل كثيراً باصطحاب زوجته للتسوق ؟ ولماذا تضيق الزوجة بسلوك زوجها المتعجل أثناء التسوق؟

۞ **عند العودة من العمل:** الرجل حال عودته من عمله مكدوداً متعباً فإنه يركز على تناول الطعام ثم الذهاب لغرفة نومه ـ ملاذ الراحة ـ ولا يكاد يلتفت إلى شيئ آخر في طريقه إليها ... ثم عندما يدخلها لا يكاد يرى منها شيئ إلا هدفه ... السرير ... إنه يصبو للراحة والنوم ليقطع صلته بعمله ومشاكله، وحتى يستطيع أن ينتقل من الحالة التي كان عليها في العمل بما تموج بها من حوارات ومناقشات وصراعات ومنافسات إلى حالة يستطيع بها تأدية دوره في بيته كزوج مع زوجته وكأب مع أولاده. أما المرأة حال عودتها من عملها مكدودة متعبة فإنها تتجه بسهولة وفوراً إلى المطبخ لتعد الطعام المناسب لزوجها وأولادها ... إنها ليست في حاجة كبيرة لهدنة بين عملها الخارجي وعملها المنزلي ... إنها قادرة بسهولة ويسر أن تنتقل بين الحالتين ... دونما عناء

يذكر ... ولكنك تراها - أثناء توجهها إلى المطبخ - تطوف ببصرها في أرجاء المنزل، وبنظرة سريعة تلحظ أشياء كثيرة في آن واحد ... فتنبري معلقة على ما تراه ...

من الذي ألقى الملابس هكذا على الأرض؟ ...
من الذي ترك كتبه بإهمال على المائدة؟ ...
من صاحب هذا الحذاء الموضوع في غير مكانه؟ ...
من ؟ ...
من ؟ ...
ثم تتجه نحو المطبخ لتجهز الطعام ... ولكنها لا تبرح مزاولة نفس المهمة ...
من الذي لم يضع اللبن في الثلاجة وتركه خارجها؟ ...
من ترك الخبز هكذا في الهواء حتى قارب على الجفاف؟ ....
من ؟ ...
من ؟ ...
إنها تجول ببصرها .. وتعلق كثيراً .. ثم تبدأ .. بعد ذلك .. في إعدادها للطعام.

☼ **الفصل بين المشاكل:** يستطيع الرجل أن يفصل بين مشاكل البيت ومشاكل العمل، فلا تخطر على باله - عادة - مشاكل البيت عندما يكون منهمكاً في عمله. أما المرأة فلا تستطيع أن تفصل بين مشاكل البيت ومشاكل العمل، ويحدث عندها - في الغالب - شيء من خلط ليس بيسير، فمشاكل بيتها تتداول بالعمل ومشاكل العمل تنقل إلى البيت.

☼ **عند الحوار:** في العادة تعمد المرأة عندما تتحدث مع زوجها أن تخرج من موضوع وتدخل في آخر ثم تعرج إلى ثالث ثم تدلف إلى رابع ... وهكذا ـ ودون أن تتم أي منها، أو أن تطلب منه طلبات متتالية متعاقبة، يشعر زوجها آنذاك بالتشتت وأن الدنيا كلها قد أصبحت فوق رأسه ... إنه يعجز - بطبيعته - عن ملاحقة هذه الأمور بمثل هذا الإسلوب الأنثوي.

✪ **عند الاستذكار:** يسهل على البنت أن تستذكر دروسها - وهو أمر يتطلب التركيز - في مناخ قد يكون فيه شيء من صخب، أما الولد - عادة - فيجنح إلى المناخ الهادئ أثناء الاستذكار.

ثانيا : في التفكير:

يفكر الرجل بطريقة شمولية منطقية عقلانية، بينما تفكر المرأة بطريقة تفصيلية حسية عاطفية. وتضطرب المرأة كثيراً إذا ما حاولت التفكير مثل الرجل باستخدام المنطق والعقل وإعطائهما حيزاً كبيراً على حساب مشاعرها وأحاسيسها. وكذلك أيضاً، يتردد الرجل طويلاً إذا قام أثناء التفكير بمشابهة المرأة في تغليب مشاعره وأحاسيسه على المنطق والعقل.

مثـــال:

إذا طُلب من الرجل بسبب ظروف عمله الانتقال إلى مكان أو بلد آخر، فإنه سيفكر أولاً في النواحي المادية وفي مستقبل الوظيفة وتطوره من خلالها. أما زوجته فستفكر في أهلها وصديقاتها وجيرانها.

وبينما تنصب اهتمامات الرجل على العموميات، تهتم المرأة بالتفاصيل، الأمر الذي يجعلها تفوق الرجل قدرة على تسجيل الملاحظات الدقيقة. ويرجع ذلك إلى أن نصف الكرة المخي الأيمن - الذي يميل الرجل لاستخدامه أكثر - ينحاز نحو معالجة النواحي الأساسية لموقف ما، في حين ينحاز نصف الكرة المخي الأيسر - وهو الذي تميل المرأة لاستخدامه أكثر - نحو معالجة التفاصيل الأدق.

مثـــال:

إذا حضر رجل وزوجته حفل زفاف، تنبري الزوجة في وصف أدق تفاصيل فستان العروس ... أما الزوج إن سألته زوجته عن هذا الفستان، فسيعلق بقوله: ألم يكن لونه أبيض؟!!! ... وهو عند إجابته هذه لا يقصد احتقار سؤال زوجته، ولكن الحقيقة أن بصره لا يقع على التفاصيل، وإن وقع فلا يمسك بها عقله. كذلك إذا سُئلت المرأة عن محتويات بوفيه هذا الحفل، فإنها ستذكر ما كان موجوداً، وقد تضيف أيضاً ما كان ينقص هذا البوفيه من وجهة نظرها. أما الرجل إذا سُئل نفس السؤال فسيجيب بأن به أنواعاً كثيرةً، أو أنه لا ينقصه شيء ... هكذا ... ببساطة ... لأنه لا يهتم بالتفاصيل.

إن الحياة - كما أرادها الله ﷻ - لا تعتمد على الجانب العقلاني الشمولي وحده، كما أنها أيضاً لا تركن إلى الجانب العاطفي التفصيلي وحده، ولكنها تستلزم المزج بين الجانبين ... هكذا الحياة كما أرادها الله ﷻ. لذا كان من الضروري - في ظل الأسرة - تغليب استغلال تفكير الرجل في الجانب العقلاني الشمولي في أمور، والاستفادة من تفكير المرأة في الجانب العاطفي التفصيلي في أمور أخرى.

ولذلك كان من الخطأ أن يعامل الرجل زوجته دائما بالمنطق والعقل، وإنما ينبغي أن يعاملها بشيء من العاطفة والحنان. كما ينبغي ألا تجهد المرأة زوجها بالعتاب والكلمات القاسية والسخرية لأنه لم ينتبه إلى تفاصيل تغيير أحدثته في ملابسها أو زينتها أو هيئتها أو بيتها.

ثالثا: في الحوار:

يعتبر الحوار بين الزوجين أهم عنصر من عناصر وسائل الإتصال بينهما وأكثرها فاعلية، وفيه يتجسد من الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة ما لا يتجسد في غيره من العناصر، وغالباً - إن لم يتم بطريقة صحيحة سليمة - يجلب الشقاق والنكد.

يختلف الرجل عن المرأة في أداء الحوار من حيث طريقته وموضوعه وروحه واتجاهه ونوعه وإسلوبه.

طريقة الحوار:

يفكر الرجل ملياً في أمر ما حتى يحدد ماذا يريد إيصاله للآخرين، ثم يتحدث معهم بعد ذلك، فالرجل يتحدث بعدما يفكر، ولذلك تجده يطرح مقدمة بسيطة لموضوع بعينه ثم يختصر ليوضح نقطة بعينها ثم يصل إلى الخلاصة مما يجعل متابعته سهلة ميسورة. أما المرأة فإنها لا تتحدث من أجل توصيل فكرة واضحة بذهنها كالرجل، وإنما تتحدث قبل أن تفكر في ماذا تريد قوله ـ تتحدث قبل أن تتضح الفكرة برأسها ... تتحدث لتساعد نفسها على بلورة الفكرة ... ولذلك تجدها تطرح مواضيع شتى في نفس الوقت وربما في نفس الجملة ... ثم أثناء الحديث تتضح لها هذه الفكرة ... ثم تواصل الحديث بعد ذلك لتنتقل لغيرها.

... إنه يفكر ثم يتحدث ... وإنها تتحدث حتى تستطيع أن تفكر ...

موضوع الحوار:

يغلب على حديث الرجل أن يكون منطقياً عقلانياً ويتناول أموراً تمت وأخباراً وقعت، ولذلك عندما يتحدث الرجال سوياً فإنهم يعمدون إلى تبادل المعلومات العامة غير الشخصية، فتسمعهم يتحدثون عن الأخبار والرياضة والسياسة والاقتصاد والتاريخ ... وعن السيارات والحواسب الآلية والأجهزة الرقمية وعن مشاكل وصعوبات العمل التي جابهوها وعن الصولات والجولات التي أدوها في ميادين الحياة المختلفة ... إلخ. والحديث في هذه المواضيع بين الرجال من شأنه أن يوطد ما بينهم من علاقات وروابط على الطريقة الرجالية. أما المرأة فلديها استعداد أكثر للتحدث عن الأحاسيس والمشاعر، من أجل ذلك تتحدث النساء سوياً عن المعلومات الشخصية والسير الذاتية والأسرار الخاصة والاجتماعيات والأطفال والملابس، لأن ذلك يقوي ما بينهن من روابط ويعضد العلاقات ويكون الصداقات على الطريقة النسائية.

ومن هنا كان من الطبيعي أن يستريح الرجل بالحديث مع رجل مثله، وتستمتع المرأة بالحديث مع امرأة مثلها. ولذلك كثيراً ما تلحظ الزوجة - ببعض المرارة - أن زوجها يكثر الحديث مع أصدقائه، بينما تفتقد حدوث هذا معها. كما يرمق الرجل زوجته - بقليل من حنق - وهي منشغلة عنه بالاندماج في حديث طويل مسهب مع أهلها وجيرانها بالهاتف.

مثـــال:

هي: أنت مع أصحابك تتكلم وتضحك وتقهقه ومعايا ساكت... إيه الحكاية؟

هو: ... ...

إن للهاتف في حياة الرجل والمرأة دورين مختلفين، فالرجل ينظر إلى الهاتف بوصفه أداة اتصال لنقل الحقائق وتبادل المعلومات ولإنجاز أعمال، أما المرأة فتنظر إلى الهاتف باعتباره أداة جيدة لتوثيق العلاقات.

روح الحوار:

يود الرجل في الحوار أن تُسمع أفكاره، أما المرأة في الحوار فتود أن تُتفهم مشاعرها. والمرأة عندما لا تستمع لأفكار زوجها فإنها ـ عنده ـ لا تثق به، وبالتالي فهي لا تحبه، لأن التي تحب عند الرجل هي التي تثق به. والرجل عندما لا يتفهم مشاعر زوجته فإنه ـ عندها ـ لا يهتم بها، وبالتالي فهو لا يحبها، لأن الذي يحب عند المرأة هو الذي يهتم بمشاعر الطرف الآخر.

... الرجل أثناء الحوار يفكر، بينما المرأة أثناء الحوار تشعر ...

ينشأ الخلاف بين الزوجين عندما يريد الرجل أن "تفكر" زوجته مثله، وتريد المرأة أن "يشعر" زوجها مثلها ... وذلك لا يمكن حدوثه ... لأن كليهما يختلف عن الآخر ... ولأن كليهما يجب أن يكون مختلفاً عن الآخر ... فمن الخطأ أن تعتقد أنه يجب على الطرف الثاني أن يفكر كما تفكر أو أن يشعر كما تشعر! ... من الخطأ أن تعتقد أن الطرف الثاني يجب أن يعبِّر بنفس تعبيرك أو طريقتك حينما يكلمك!... ولذا كان من الضروري أن يعرف الرجل كيف تشعر زوجته، وأن تعرف المرأة كيف يفكر زوجها ... حتى يقتربا ... بل حتى يمتزجا ... عند الحوار.

إتجاه الحوار:

لا يحدث التقاء في حديث الرجل مع زوجته أبداً إن كان إتجاه حوارهما مختلف، رغم أنهما ـ ربما ـ يتحدثان في موضوع واحد. لتبيان ذلك نضرب هذا المثل:

رجل يناقش زوجته في موضوع تأخر ابنهما في التعليم:

هو: لابد من تنظيم وقت استذكار الولد (يتحدث عن الحل).

هي: أنت غير موجود بالبيت لأجل ذلك الولد لا يستذكر الولد جيداً (تتحدث عن السبب).

هو يتحدث عن الحل وهي تتحدث عن السبب فلن يلتقيا أبداً، وسينقلب الحوار إلى جدل ... ثم ... خلاف ... فنكد. ولذلك عند مناقشة أمر ما بين الرجل وزوجته لابد من اتفاقهما ليس فقط على عنوان الموضوع ولكن أيضاً على اتجاه الحوار ... هل سنتحدث في الحلول؟ ... أم سنذكر الأسباب؟ ... أم ماذا؟!

نوع الحوار:

يشعر أكثر الرجال بالراحة عند أداء **الحديث العام**، بينما تشعر أكثر النساء بالراحة عند أداء **الحديث الخاص**. ويلاحظ هذا في الاجتماعات العامة حيث يكثر بها كلام الرجال، أما النساء فيكثر حديثهن في الجلسات الخاصة وأثناء المكالمات الهاتفية الطويلة. ولقد اقتضت حكمة الله ﷻ هذا لأن الرجل ـ عادة ـ يحتاج لكثرة الحديث مع الناس في عمله حيث مضمار سعيه في الدنيا، والمرأة تحتاج إلى كثرة الحديث مع صغارها في بيتها، لزيادة الألفة والتفهم وتقوية المشاعر والروابط بينها وبينهم، ولتنمي فيهم أيضاً ملكة الكلام والحوار.

إسلوب الحوار:

تستعمل المرأة - عادة - في كلامها صيغ التفضيل والمبالغة والتعميم وإسلوب المجاز والإستعارة والتورية وغيرها، كما تعتمد على نبرات الصوت لتوضيح المعنى واستخدام تعبيرات الوجه ولغة الجسد لنقل المحتوى العاطفي للعبارات، مما يكسو حديثها نمط غير مباشر. كما أن المرأة تستطيع أن تستنبط ما وراء الكلام بحدسها، ذلك لأنها تتمتع بحساسية فائقة تمكنها من تمييز التغيرات التي تطرأ على نبرة الصوت وطبقته وحدته مما يمكنها من استقراء مشاعر من حولها واستكشاف التغيرات الإنفعالية أو العاطفية التي تعتريهم.

إن هذه أمور لا يستطيع الرجل إدراكها بسهوله. فالرجل لا يستنبط - على الأرجح - المقصود من الكلام غير المباشر إلا إذا تم الإعلام عن ذلك بوضوح وصراحة.

ولهذا فإنه من الأهمية بمكان أن تجتهد المرأة عندما تتحدث مع زوجها أن يكون إسلوبها مباشراً على قدر الإمكان، وأن تحسن الظن به ... تقديراً لطبيعته، ودرأً لسوء فهمه. كما كان أيضاً من الأهمية كذلك أن يجتهد الرجل ويحاول استقراء ما وراء حديث زوجته، وأن يحسن الظن بها - احتراماً لطبيعتها، وجلباً لمودتها.

حينما تبوح المرأة بمشاعرها فإنها تستخدم تعبيرات وجهية ولغة جسدية وأنماط لغوية تتسم جميعها بقوة التأثير والتعبير، أما الرجل حين يبوح بمشاعره يميل إلى المرواغة والاندفاع فى الحديث أو التحول إلى العدوانية.

ومن الأمثلة على ذلك:

- عندما تقول المرأة لزوجها: "**أنت لا تسمع كلامي أبداً**" فإنها في الحقيقة لا تعني أن زوجها لا يستمع إليها أبداً. فكلمة "أبدا"، كلمة تعميمية وهي عندها تعبر عن إستيائها وضيقها بعدم استماع زوجها إليها في هذه اللحظة فقط. إن المرأة لا تكترث بالتعريف الدقيق للكلمات ولا تعبأ إن استخدمت مفردات

اللغة في موضعها أم لا، كما أنها لا ترى بأساً في استخدام الإيحاءات العاطفية والمبالغة حتى تؤثر على مستمعيها. أما الزوج فيترجم الكلام حرفياً، لقد فهم أنها تقصد أنه منذ أن عرفها وهو لا يسمع كلامها مطلقاً، ولكنها في الحقيقة لا تقصد ذلك أبداً. يجب أن يعي الرجل أن المرأة تستخدم الكلمات التي لا تقصد معناها، وهذا يعني أنه يجب عليه ألا يتناول حديثها حرفياً أو يسعى لتعريف كلماته. كما يجب أن تفهم المرأة أنها ينبغي عليها أن تتحاور مع زوجها بإسلوب منطقي قدر جهدها حتى يفهمها.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أنه في حديث طويل للنبي ﷺ بصحيح البخاري قال:" .... ورأيت أكثر أهلها (يقصد النار) النساء. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: بكفرهن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيراً قط". هذه طبيعتها التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ، وكم تؤلم هذه الطبيعة الرجل الذي يعاشرها وتضايقه؟

- عندما تريد المرأة من زوجها أن يشتري لها هدية كخاتم ... مثلا ... تقول له: **ألم تر خاتم فلانة؟ أليس رائعاً؟** ... فيأخذ الرجل الكلام حرفياً (خاتم فلانة رائع)، فيجيب على السؤال بقوله: **نعم إنه رائع!!** ... إنه لم يفهم ما وراء السؤال... لم يفهم أن زوجته تعرض في قولها، وهي تريد أن تقول له أريد خاتماً هدية منك ... لم يفهم ... لأنه كلام غير مباشر ... فتعتقد الزوجة - حسب طبيعتها الأنثوية - أنه يفهم ولكنه يدعي عدم الفهم!... لأنه ينوي تجاهلها!... وهذا تصور ليس له نصيب من الصواب.

- أم الزوج: يا بني ... كوب الشاي الذي شربته منذ الصباح الباكر لازال في مكانه متسخاً ... لماذا لا تعيده إلي المطبخ حتى يتم غسله؟

الزوج: أنا آسف يا أمي ... سأفعل ذلك الآن.

الزوجة (هامسة لزوجها): شوف أمك بتتكلم عليَّ ازاي!

الزوج: هي جابت سيرتك؟

الزوجة: دي تقصدني أنا.

صدقت الزوجة ... فحماتها تقصد بالفعل توجيه اللوم لها ... بطريقة غير مباشرة ... ولكن الزوج لا يستطيع أن يفهم ذلك بسهولة.

تجسيد الحوار للألفة والاستقلالية:

إن البشر - رجالاً ونساءً - يحتاجون إلى كل من الألفة والاستقلالية، إلا أن النساء يملن إلى الألفة، أما الرجال فيجنحون نحو الاستقلالية. وحب المرأة للألفة يدفعها للحديث مع الآخرين، خاصة زوجها، لأنها ترى أن ذلك يغذي ما بينهما من مودة وحب. أما ميل الرجل للاستقلال فيتجسد في عدم رغبته في متابعته ومحاصرته بسيول من الأسئلة مثل: أنت فين؟ ... كنت مع مين؟ ... رايح فين؟ ... مش بترد على الهاتف ليه؟. كما أن الرجل يسأم عندما تلح زوجته في طلباتها، ذلك لأن هذا الإلحاح يشعره بالقيد على حريته والحجر على استقلاليته، كما يشعره أيضاً بعدم ثقتها به.

ورغم أهمية الحوار وضرورته بين الزوجين، فإنه ينبغي ألا يتدنى إلى درجة الجدل الذي يعتبر من العناصر الأكثر تدميراً للعلاقات بين الناس عامة والأزواج خاصة. كما ينبغي على كل طرف ألا يحاسب الآخر بدقة على كل كلمة يتفوه بها، فالتغاضي هنا هو الأولى لحفظ الحياة الزوجية صافية... رائقة ... رائعة.

رابعاً: في الإنصات:

تستطيع المرأة أن تظهر استجابتها لمشاعر المتحدث عن طريق تعبيرات وجهها، حتى يبدو للمشاهد وكأن المرأة ومن يحدثها قد مرا بنفس الأحداث. إن هذه الطبيعة تؤدي دوراً هاماً في تواصل المرأة مع زوجها وابنائها وسائر من يتعامل معها. أما الرجل - في العادة - فلا يبدو على وجهه نفس القدر من التعبيرات أثناء الإستماع لحديث الآخرين، الأمر الذي يسمح له بالسيطرة على المواقف، ويظهره

وكأنه مجرد من المشاعر، غير أن الحقيقة تكمن في طبيعة الرجل التي قد تملي عليه في بعض الأحيان تجنب أو ربما تأجيل إظهار مشاعره.

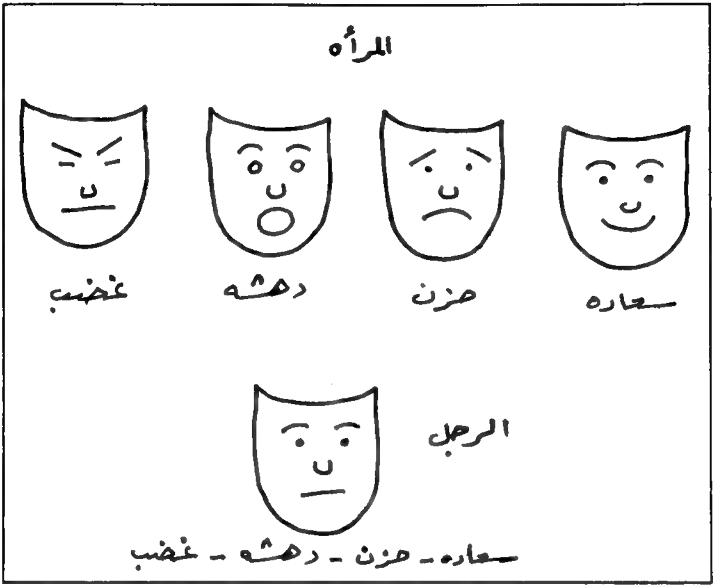

وإذا ما تدرب الرجل ومارس وتمرس على استخدام تعبيرات وجهه أثناء الإنصات لجلب له ذلك نفعاً كبيراً في التواصل مع الآخرين.

خامساً: في الأولويات والاهتمامات وطرق تحقيق الذات:

إن أولويات واهتمامات الرجال والنساء لعلى طرفي نقيض، من أجل ذلك كان تحقيق كل منهما لذاته يتم خلال منظومات جد متباينة ولكنها في مجملها متكاملة.

إن أولويات الرجل واهتماماته لتحقيق ذاته تتم من خلال نجاحاته العملية في عمله ومهنته، والتي يجنيها ببذل الجهود المضنية والمناقشات الحادة والمنافسات الضارية والصراعات الطاحنة. ومن هنا كان مبعث انشغال الرجال بالأشياء التي تمكنهم من التعبير عن القوة وصناعة النتائج وتحقيق الأهداف، مثل السيارات وآلات الحاسوب وآلات التقنيات الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة. والرجل عادة لا يعمل بحثا عن المال فقط بقدر ما يعمل لإثبات ذاته كشخص ناجح وقادر على الإنتاج والإنجاز وتحقيق الأهداف.

أما أولويات المرأة واهتماماتها لتحقيق ذاتها فتنصب على أمرين أساسيين:

(١) البيت:

يتربع البيت على قمة أولويات المرأة واهتماماتها بلا منازع. إنه مكانها الفطري ومملكتها الطبيعية التي تحقق فيه ذاتها من خلال عاطفة الحب الجياشة وغريزة الأمومة الجارفة. ولا يعوض المرأة تحقيقها لنجاحات مذهلة خارج المنزل، إن هي فشلت داخله مع أبنائها وزوجها، فخسارة الفشل كزوجة وأم هي الأفدح والأقسى.

وتنقل لنا السيرة النبوية العطرة وصية الرسول ﷺ لابنته الحبيبة فاطمة (رضي الله عنها) في حديث شريف رواه الشيخان عن علي ؓ قال لابن أعبد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة (رضي الله عنها) بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله إليه وكانت عندي؟ قلت: بلى. قال: إنها جرت (استخدمت) بالرحى (آلة بدائية من الحجر تستخدم لطحن الحبوب) حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها (أعلا الصدر)، وكنست البيت حتى أغبرت ثيابها. فأتي النبيَ ﷺ خدمٌ فقلت: لو أتيت أباك فسألته خادماً (طلبت منه أن يعطيك خادماً). فأتته، فوجدت عنده حداثاً (رجالاً يتحدثون)، فرجعت، فأتاها ﷺ من الغد فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله: جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنست

البيت حتى أغبرت ثيابها، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً (تطلب منك خادماً) يقيها حر ما هي فيه. قال ﷺ: **اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين فتلك مائة، فهي خير لك من خادم.** قالت: رضيت عن الله ورسوله. زاد في رواية "و لم يخدمها" (لم يعطها خادما). في هذا الحديث الشريف أوصى النبي ﷺ ابنته الزهراء (رضي الله عنها) بأن تعمل عمل أهلها (مثل باقي النساء) من إدارة الرحى وسقاية الماء وكنس البيت كما كانت تفعل، ولو كان الخير في غير ذلك لأوصاها به أبوها ﷺ، ولكن وصيته هذه تؤكد حبه لها، لأنها بهذا الفعل ستكون ربة بيت مثالية وتصبح قدوة لجميع ربات البيوت، وزوجة مثالية تؤدي كل ما يرضي زوجها ويسعده.

وعت امرأة مسلمة قديماً دورها كزوجة وأم وربة بيت، وأرادت أن تنقل إلى ابنتها وفلذة كبدها عصارة تجربتها، فقالت لها: يا ابنتي ... البيت مملكة صغيرة ... والعاقلة من تسوس هذه المملكة بحكمة وحسن إدارة وتعطي كل فرد من أفرادها حقه ... فتحسن معاملة زوجها وتربية أبنائها ومعاملة الخدم، لتكون محبوبة من زوجها، محترمة من أولادها، مطاعة من خادمتها، مقبولة عند الله والناس، فترفع مملكتها إلى ذروة السعادة. أما المرأة الجاهلة التي لا تحسن القيام بإدارة منزلها، ولا تقوى على سياسة مملكتها فإنها تسقط من نظر زوجها وأولادها وخدمها أيضاً، وتهوي بأسرتها إلى وهدة البؤس والشقاء. والرجل يا ابنتي إن لم يكن مسروراً من حسن إدارة منزله وراحة أفراد أسرته، وكان سبب ذلك جهل امرأته، فلابد أن ينفر عنها ويهرب منها، مهما يكن بفؤاده من الحب والميل لها. **شرف المرأة يا ابنتي في أن تقوم بواجباتها النسائية وأمورها المنزلية ولا تترك زوجها يفكر في غيرها، أو يطلب سواها لراحته وترتيب منزله.**

وليس المسلمون وحدهم هم الذين يعرفون ما يجب على المرأة أداؤه بمنزلها تجاه زوجها وأبنائها، ولكن غيرهم أيضاً عرفوا ذلك، خاصة بعد خوضهم

لتجارب مريرة أبعدتهم - كثيراً أو قليلاً - عن الفطرة، والتي تمثلت إحداها في إخراج النساء من بيوتهن إخراجاً، بدعوى حقهن الإنساني في العمل والتكسب وإثبات الذات. فقد حدث وأن عينت الآنسة "استانسبيوف" البلغارية في وظيفة بوكالة بلغارية سياسية في واشنطن، وكان لهذه الآنسة شقيق يدرس الشريعة في جامعة السوربون بفرنسا، فلما بلغه نبأ هذا التعيين أبرق إليها كاتباً: **"إن البيت مركز المرأة، وشغلها هو تربية الأولاد لا المجادلات السياسية، وتنظيم الموائد والأسرة لا إبرام المعاهدات، والخياطة لا عقد المؤتمرات، ولذلك فإنني بدلاً من أن أهنئك بوظيفتك أنحي عليك باللائمة عن إخلاص نية وبروح الرفق والحنان"**.

(٢) العلاقات الاجتماعية:

تحب المرأة - في العادة - مخالطة الناس وعشرتهم والتزاور معهم ومحادثتهم طويلاً بالهاتف وحضور المناسبات الاجتماعية كالأفراح ونحوها، وهي تستنفد وقتاً ليس باليسير من عمرها في مساعدة الآخرين ورعايتهم، وليس ذلك لدى الرجل، أو على الأقل ليس بمثل هذه القوة، ولذلك كانت قدرة المرأة على تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية المختلفة وتطويرها تفوق ذات القدرة عند الرجل. ولذلك كان من السهل على العروس الاندماج مع أهل عريسها عندما يدخل بها في بيت أهله، كما كان من الطبيعي أيضاً أن تزيد المرأة من ارتباط زوجها وأولادها بأهلها هي دون أهله هو، وهذا ما يحدث عادة بطريقة تلقائية ودون قصد. ويؤدي اهتمام المرأة بالمظهر، وتخير أساليب الحديث، وانتقاء الألفاظ، والرقة في مخارج الحروف، واستخدام تعبيرات الوجه عند الإنصات، والتواصل مع الآخرين. دوراً هاماً في هذا الجانب.

إن نظرة الرجل والمرأة إلى دور السيارة في حياتهما تظهر الفارق بين اهتماماتهما. فالسيارة بالنسبة للرجل ليست مجرد وسيلة مواصلات مريحة فقط، ولكنها رمز للقوة ووسيلة للمنافسة وبلوغ الأهداف، ولذلك كثيراً ما يعامل الرجل سيارته معاملة خاصة. وأنه ليس بمستغرب أن يضع الرجل في أولويات خطته المستقبلية شراء سيارة، رغم ما قد يتكبده من نفقات باهظة في سبيل

تحقيق ذلك، بل قد يسعى بعض الشباب لشراء سيارة قبل شروعهم في الزواج. أما المرأة فتنظر إلى السيارة ـ في الغالب ـ كوسيلة مواصلات مريحة ... نظيفة ... جميلة ... جديدة ... ليس إلا.

وإذا رجعنا إلى الرجال والنساء عندما كانوا أطفالاً لوجدنا أن الألعاب التي يمارسها الأطفال الذكور تتسم بالمنافسة والمغالبة والقوة والعنف، بينما ترى ألعاب الأطفال الإناث بها من الود والرقة واللطف الشيئ الكثير. إنهم يتمتعون بالمنافسات والعنف ... وإنهن يتمتعن بالرقة واللطف ... هذا منذ كانوا صغاراً ... فمن الذي علمهم ذلك؟ ... إنها فطرتهم التي فطرهم الله ﷻ عليها.

سادساً: في العطاء والأخذ المادي:

تستمر الحياة الزوجية ـ ما شاء الله لها أن تستمر ـ بين شريكين أولهما الرجل وهو ـ فطرياً ـ الطرف دائم العطاء المادي، وبين المرأة وهي ـ فطرياً ـ الطرف دائم الأخذ المادي.

إن الرجل قد جُبِلَ علي حب العطاء من وقته ونفسه وماله، فذلك يشعره بذاته وبقيمته ... بكيانه وأهميته، وبالمقابل فهو يرى في الأخذ تصغيراً لشأنه وتحقيراً لنفسه وتجريحاً لكرامته وانتقاصاً من رجولته.

أما المرأة فبارعة في الأخذ، فهي لا تجد أي غضاضة في أن ينفق عليها الرجل طوال حياتها، سواءً أكان هذا الرجل أبوها أو زوجها أو أخوها أو حتى ابنها. وبالمقابل، فإن المرأة ترى في العطاء خسارة ونقصاً في ذاتها، فهي لا ترحب - في الغالب - بالبذل من أوقات زوجها وأبنائها ومن ممتلكاتها شيئا. وما المحاولات التي قد تقوم بها المرأة لإبعاد زوجها عن أمه وأبيه وأخته وأخيه وبقية أقربائه وحميم أصدقائه إلا لأنها تتوهم أن هؤلاء يأخذونه منها، وأنه - في تصورها - ملك خاص لها. وما ذلك إلا تجسيداً واضحاً للطبيعة الأخذية الاستحواذية عند المرأة.

لهذا ينبغي على المرأة ألا تحزن لطبيعة زوجها - كرجل - في العطاء المادي والتي تحمله لبذل أمواله صدقات لذوي الحاجات، لأنها هي هي نفس الطبيعة التي تدفعه للإنفاق عليها وعلى أسرتها. وأيضاً، ينبغي على الرجل الأريب ألا يمنعه تقتير زوجته في العطاء المادي عن مساعدة الآخرين وخاصة من لهم به صلة رحم وقربى، حتى لو اضطر أن يفعل ذلك دون علمها ... لا احتقاراً لها أو استهانة بها ... ولكن ... احتراماً لطبيعتها وحرصاً على مشاعرها.

كما ينبغي للمرأة أن تدرك أن الرجل يخشى الأخذ، ولكنه قد يلجأ إليه مضطراً منكسراً ... فأي شرخ هذا الذي تحدثه الزوجة في نفسية زوجها إذا امتنت عليه يوماً بمساهمتها في جزء من نفقات البيت؟

سابعاً: في العطاء والأخذ النفسي:

إن قدرة المرأة على العطاء النفسي والاستمرار عليه تفوق بمراحل عديدة ذات القدرة عند الرجل. إن المرأة في عطائها النفسي المستمر تشعر بسعادة غامرة، إنها تفعل ذلك في انتظار هدف جميل تتوق إليه كثيراً ... إنه شكر الجميل ... من

شريك الحياة ... ولو تم ذلك في فترة وجيزة وبطريقة مقتضبة. ولذلك كانت المرأة أكثر تحملاً لعدم التقدير وشكر الجميل من الرجل، وهي لا تبدأ في التذمر من هذا الوضع إلا بعد قطع شوط طويل من العطاء بلا مقابل. أما الرجل فعند عطائه ينتظر الحصول على المقابل قبل أن يتمادى في بذل المزيد، وإذا لم يتلق هذا المقابل فتراه يسخط ويتذمر ويزمجر ويميل إلى التوقف الفوري عن العطاء.

وكما كانت المرأة بارعة في الأخذ المادي فهي أيضاً بارعة في الأخذ النفسي ... فتراها تتلقى أخبار الناس، وتنهل من مشاكلهم، وتتشرب من همومهم، وتتفاعل بعمق مع هذه المشاكل والهموم، وتتأثر بها تأثراً بليغاً، فتحزن بشدة لأحزانهم، وليس ذلك لدى الرجل ... وإن وجد فلا يكون بمثل هذه الدرجة.

يتضح لنا من العاملين السابقين أن كلاً من الرجل والمرأة مؤهل من قبل الخالق ﷻ للعطاء والبذل مما أعطاه الله ووهبه... فالرجل مؤهل لأن يعطي ويبذل "مادياً" ... لأنه مُنح القدرة على التكسب وكُلف بالإنفاق ... والمرأة مؤهلة لأن تعطي وتبذل "نفسياً" ... لأنها خلقت زاخرة بالمشاعر والعواطف.

ثامناً: في طريقة التحفيز على البذل والعطاء:

إن ما يحفز الرجل على البذل والعطاء هو شعوره بالاحتياج إليه ... بالاحتياج إلى رأيه وفكره ... إلى ذكائه وعقله ... إلى قوته وساعده، ولذلك كلما زاد إحساس الرجل باحتياج أسرته إليه ارتفعت همته في خدمتها والقيام بشؤونها. نساء كثيرات لا يعلمن أن مساعدة أزواجهن وتشجيعهم تتم بطلب مساعدتهم وإشعارهم بحاجتهن إليهم، دون إلحاح أو محاصرة. من أجل ذلك كان من الممكن وبمنتهى السهولة أن تستخرج المرأة من زوجها أقصى بذل وأسخى عطاء إذا قالت له: **"إحنا مانقدرش نعيش من غيرك"** .. مثلا ... إنها عبارة توحي بالاحتياج الشديد إليه، فكانت العبارة التي تحمله على أن يزيد من بذله ويكثر من عطائه.

أما ما يحفز المرأة لمزيد من البذل والعطاء إحساسها بالاحترام والإعجاب ممن حولها، فهي ترغب من زوجها أن يثني عليها وعلى ما تؤديه من أعمال باستمرار. فالزوجة تقوم ... مثلا ... بطهي الطعام لساعات طوال، تقضيها بالمطبخ أمام حرارة نار الفرن، وبين نفايات حوض الأواني، لتعد مائدة زاخرة بالأطعمة المناسبة لزوجها وأولادها، وتكون في غاية الغبطة والرضا إن قيل لها فقط **"تسلم إيدك"** ... إنها جملة قصيرة فيها من الثناء ما يجلب الإرواء.

تاسعاً: في عناصر القوة:

إن صفات الرجولة تمثل عند الرجل عناصر قوته، وهي تشمل ضمن ما تشمل: شدة بأسه وقدرته على التحدي والصمود والتحكم في عواطفة ... إلخ. وبالمثل، تمثل صفات الأنوثة عند المرأة عناصر قوتها، وهي تشمل ضمن ما تشمل: الرقة والاستكانة والضعف والعاطفة الجياشة... إلخ.

... سبحان الله ...

... عناصر قوى على طرفي نقيض ...

وإنك لترى الرجل يخرج - قليلاً أو كثيراً - من عباءة الرجال إن ملك بعضاً من عناصر قوة المرأة .. كأن يكون رقيقاً ومستكيناً وضعيفاً وعاطفياً ... إنه في هذه الحالة ليس رجلاً بالمعنى الوافي الكامل. وكذلك المرأة أيضاً تخرج - قليلاً أو كثيراً - من عباءة الإناث إن ملكت بعضاً من عناصر قوة الرجل ... كأن تكون شديدة البأس وقادرة على التحدي والصمود ومتحكمة في عواطفها ... إنها في هذه الحالة ليست أنثى بالمعنى الوافي الكامل.

كم من بيوت استقرت واستمرت بسبب اكتمال **"رجولة"** الرجل، وتوافر عناصر قوته كرجل، واستخدامها في موضعها وبجرعتها الملائمة وفي وقتها المناسب، وبسبب أيضاً اكتمال **"أنوثة"** المرأة، وتوافر عناصر قوتها كأنثى، واستخدامها في موضعها وبجرعتها الملائمة وفي وقتها المناسب. وكم من بيوت

تصدعت وتهاوت بسبب نقص في "رجولة" الرجل لنقص في عناصر قوته كرجل، أو استخدامها في غير محلها وبجرعة غير مناسبة وفي توقيت سيئ، وبسبب أيضاً نقص في "أنوثة" المرأة لنقص عناصر قوتها كأنثى، أو استخدامها في غير محلها وبجرعة غير مناسبة وفي توقيت سيئ.

بل نستطيع القول بأن توافر عناصر الرجولة وعناصر الأنوثة في الأسرة سبب ضليع في استقرارها، بغض النظر عمن يؤدي دور الرجل أو دور المرأة. فقد تلعب المرأة أدوار الرجل وقد يلعب الرجل أدوار المرأة في أسرة ما، رغم ذلك، تستقر أحوالها على عوج حال الرجل والمرأة. أما أن يؤدي الزوجان دور أحدهما كأن يقوم الإثنان بدور الرجل فقط (بمعنى أن يصبح في البيت رجلان) أو دور المرأة فقط (بمعنى أن يكون في البيت امرأتان) فستنهار الأسرة ولا ريب، أو قد تتماسك تماسك بيت عنكبوت.

وكم من امرأة نالت من زوجها مآربها بدلال لطيف مستكين، أو بكلمة رقيقة تنساب من بين شفتين، أو بدمعة حارة تتحدر من عين ... إنها أسلحة المرأة الصارمة التي لا يقوى الرجل - على قوته وبأسه - إلا الاستسلام لها والرضوخ أمامها. وكم من امرأة فشلت في الوصول إلى مرادها من زوجها باستخدام القوة والعنف والصوت العالي ... لأن هذه الأدوات ... ببساطة ... ليست من أسلحتها، فلا تزال المرأة غالبةً ما حاربت بالأنوثة والأنوثة فقط، فإن حاولت أن تجاري الرجل في ميدانه وتقاتل بسلاحه تجرعت مرارات الفشل والخيبة ونالت ذل التحقير والمهانة.

عاشراً: في القدرات المكانية:

إن القدرات المكانية تعني قدرة العقل على تصور شكل الأشياء وأبعادها وإحداثياتها وإتساقها وحركتها ودورانها في الفراغ وقراءة الخرائط وإدراك مكان الموقع وجغرافيته.

إن القدرات المكانية هي واحدة من أقوى المهارات لدى الرجال، وهي محدودة بدرجة كبيرة لدى الغالبية العظمى من النساء. ولذلك ترى الرجال يمثلون الغالبية السائدة في الوظائف التي تحتاج إلى امتلاك قدرات مكانية متميزة وعقلية رياضية جيدة، ولعل ذلك يفسر أن أكثر من ٩٠٪ من المهندسين من الرجال.

حادى عشر: في طلب المساعدة:

يصعب على الرجل ـ بطبيعته الرجولية ـ طلب المساعدة من أحد ، لأنه يعتقد أن طلبها يعد ـ في تصوره ـ إنقاصاً لرجولته وإظهاراً لضعفه. ولذلك عند مواجهة الرجل للمشاكل فإنه يحاول جاهداً حلها بمفرده، فإذا استعصت عليه وشعر أنه يحتاج بالفعل إلى المساعدة فسيقوم عندئذ بطلبها. والرجل ـ في العادة ـ يشعر بالإعتزاز والسعادة لتلبية طلب مساعدة الآخرين لاسيما زوجته التي يحبها. أما بالنسبة للمرأة ـ بطبيعتها الأنثوية ـ فيسهل عليها قبول المساعدة وطلبها حين تحتاجها ، وهي تشعر بالسعادة عندما تقدم لها يد المساعدة وتظهر امتنانها لمن يساعدها.

إن في ذلك ـ ولا شك ـ تكامل رائع بين الزوجين ... المرأة تسعد بطلب المساعدة من زوجها ، وهو يسعد بتقديمها لها.

إن طبيعة المرأة الأنثوية تملي عليها أمرين:

أولاهما: توقع حاجة الآخرين للمساعدة.

ثانيهما: المسارعة في تقديم المساعدة والنصيحة والتوجيه دون أن يطلب منها ذلك.

ولا شك أن هذه الطبيعة جعلت المرأة متميزة في هذا الصدد ومتوافقة تماما مع دورها كزوجة وأم، والتي عليها استقراء طلبات زوجها وحاجات أطفالها قبل أن يطلبوها منها ، كي تهب لقضائها. وتنتظر المرأة أن يكون سلوك زوجها مثلها ، فهي تريد منه أن يحس بها دون أن تتأوه، وأن ينهض لمساعدتها حال

حاجتها لهذه المساعدة، ودون أن تطلبها منه، بينما الحقيقة أن الرجل ـ نظراً لطبيعته ـ لا يستشف حاجة الآخرين للمساعدة، ويحتاج ممن يريد المساعدة أن يطلبها منه بطريقة صريحة مباشرة، أو يعرب عنها بدموع متساقطة أو نوبات غضب عارمة.

كما يصعب على المرأة أن تلحظ الفارق بين طلب المساعده والمطالبة بها أو ما يسمى بالإلحاح، والذين لهما على الرجل وقع جد متباين. فطلب الزوجة المساعدة من زوجها معناه عنده أنها تثق به، وتنتظر منه بذل الجهد لتلبية طلبها، مما يشعره بحاجتها إليه، الأمر الذي يدفعه ـ كما عرفنا آنفاً ـ لمزيد من البذل والعطاء. أما الإلحاح فمعناه عند الرجل أن زوجته لا تثق به، ولا تتوقع منه بذل أي جهد لتحقيق طلبها. بالإضافة إلى ذلك فالإلحاح يشعر الرجل بالمحاصرة المقيتة التي تقيد استقلاله ـ كما سبق الذكر ـ مما يدفعه أحياناً للاستجابة على مضض تخلصاً من قسوة الإلحاح، أو أحياناً أخرى للتراخي الواضح في الاستجابة، أو حتى عدم الاستجابة على الإطلاق. قد يصلح الإلحاح ـ في كثير من المواقف ـ مع عالم النساء وبينهن، وقد يأتي بالنتائج المرجوة لمن تلح في طلبها ودون أن يكون له آثار جانبية تذكر ... ولكنه لا يصلح ـ في الغالب ـ كوسيلة سليمة مع عالم الرجال وبينهم.

ويجدر بنا أن نوجز مواصفات الطريقة الصحيحة التي ينبغي للمرأة أن تسلكها لتطلب من زوجها أمراً، وهي كالتالي:

(١) اختيار التوقيت المناسب.

(٢) وضوح الطلب بلا أي مواربة أو تورية.

(٣) الإيجاز في الطلب.

(٤) عدم الإلحاح.

(٥) اختيار الكلمات المناسبة، فإن ما نقوله قد يكون مهماً، ولكن كيفية قوله هي الأهم.

(٦) استخدام وسائل الأنثى و"أسلحتها" بالجرعة الملائمة وفي التوقيت المناسب.

ثاني عشر: **في تحمل المشاكل**:

جعل الله ﷻ للرجل قدرة على تحمل المشاكل تفوق ذات القدرة عند المرأة. إن صمت الرجل عند اصطدامه بمشكله ما، على ما يسببه لزوجته من ضيق، لهو في الواقع خير لها. فلو تحدث الرجل مع زوجته عن كل مشاكله بالعمل - خاصة لو كانت كثيرة ومعقدة - لحملها ما لا تطيق ولأتعس بذلك حياتها، خاصة وأنها تتمزق بين عجزها - في معظم الأحوال - لعدم قدرتها على تقديم مساهمات عملية مباشرة لحل تلك المشاكل وبين حبها لزوجها وخوفها عليه. ولا يظن الرجل أنه بطرح كل مشاكله الكثيرة والمعقدة بالعمل أمام زوجته أنه سيكسب بذلك منها وداً وقرباً ويحوز منها تفهماً أكثر ... نعم ... قد يحدث هذا أحياناً وبدرجة ما ... ولكنه - في الغالب الأعم - يضيف عليها من الأعباء والهموم الكثير، الأمر الذي سيكون له ... إن عاجلاً أو آجلاً ... وقع نفسي سلبي عليها.

ثالث عشر: **في طريقة التعبير عند الشعور بالضيق أثر مواجهة الضغوط والمشاكل**:

يعبر الرجل عن ضيقه حين مواجهته للضغوط والمشاكل بالإنطواء والصمت. إنه يستثمر هذا الصمت في تقييم الموقف الحالي أو التركيز على إعادة بعض الحسابات أو البحث عن حل، وهو إبان هذه الحالة ليس لديه استعداد لقبول أي تدخل خارجي لحل مشاكله، كما أنه غير مؤهل لإعطاء زوجته الاهتمام اللازم والمشاعر الفياضة، كما يجنح إلى نسيان أصدقائه، ويظهر وكأنه لا يهتم إلا بنفسه.

أما المرأة حين ضيقها فإنها تشعر داخلياً بالقهر ثم تظهر مبالغة في ردود أفعالها ثم تشعر بالإنهاك والاستنزاف. إنها تشعر بالقهر لشعورها - حين ضيقها - بتعاظم مسؤولياتها وتشتتها وتعددها تجاه زوجها وأسرتها وعملها وأقاربها وجيرانها، ويبدو لها أن واجباتها الكثيرة على نفس الدرجة من الأهمية، فتفقد

قدرتها على ترتيب أولوياتها، فتتراكم هذه الواجبات فوق بعضها البعض دون ترتيب مما يزيد من المبالغة في ردود أفعالها وقسوتها، كما تدفع بها في النهاية إلى شعور بالإنهاك والاستنزاف لفقدانها الأمل في الوفاء بكل هذه الواجبات.

والمرأة عند شعورها بالضيق تميل إلى إذاعة خواطرها ومشاعرها، فتبحث عن من تثق به لتتحدث معه لأن ذلك يشعرها بالتحسن ... لأن ذلك يشعرها أنها ليست وحدها، وهي بالطبع لن تجد أفضل من زوجها - خاصة إن كانت العلاقة بينهما وطيدة - لتؤدي معه ذلك الدور، أو قد تلجأ لأن تؤديه مع صديقاتها المقربات.

والمرأة - في الغالب - عندما تناقش مشاكلها مع زوجها فهي تريد ابتداءً أن تتحدث معه لأنها - كامرأة - تستريح بمجرد الحديث ... وأنها - كامرأة - تريد من ينصت لها ويصغي ويشاركها مشاعرها وأحاسيسها ... تريد من يقف بجوارها ... لأن في ذلك راحتها.

... إنها حكمة الخالق القدير المدبر ....

... شريكان ...

... أحدهما وهو الرجل يعبر عن مواجهته للضغوط والمشاكل بالصمت والانعزال

... والآخر هي المرأة تعبر عن مواجهتها للضغوط والمشاكل بالحديث والانفتاح على الآخرين.

رابع عشر: في آلية تقديم المساعدة:

لاشك أن الرجل يحاول كثيراً مساعدة زوجته في حل مشاكلها، وكذلك الزوجة أيضاً تحرص على مساعدة زوجها في حل مشاكله ... ولكن يتحول - في كثير من الأحيان - تقديم المساعدة المخلصة والمساندة الوفية إلي خلاف مرير وشقاق وخيم ...

... لماذا؟ ...

... إن الإخلاص وحده لا يكفي وأن الوفاء وحده لا يصلح ... بل الفهم الصحيح والعمل السليم هما جناحا النجاح والفلاح ...

... كيف؟ ...

إن كل طرف يقع في خطأ فادح خفي ... كل طرف يحاول مساعدة الآخر بالطريقة التي يحب أن يُساعد بها هو ... يحاول مساعدة الآخر بالإسلوب الذي يصلح معه هو.

> إنه يساعدها بالطريقة التي تصلح معه هو ... ولكنها لا تصلح معها بأي حال من الأحوال، وإنها تساعده بالطريقة التي تصلح معها هي ... ولكنها لا تفيده من قريب أو بعيد.

كيف إذن يساعد الرجل زوجته عند تعرضها للضغوط والمشاكل؟ ... إنه بلا شك سؤال هام جداً ... وعلى قدر أهميته قد لا يعرف إجابته أغلب الرجال!!.

مساعدة الرجل لزوجته تكون أولاً بحسن الإنصات لها والإصغاء لشكواها والتجاوب مع مشاعرها ومشاركتها لأحاسيسها، وعدم المسارعة بتقديم حلول ونصائح. والذي يحدث أن الرجل - الذي جُبِلَ على حل المشاكل - ما أن تنبري زوجته لتحدثه عن بعض مشاكلها رغبة في الحديث معه فقط، إذا به يحاصرها بالنصح والتوجيه وطرح الحلول، مما يترتب عليه استياء زوجته منه وضجرها بنصائحه وتوجيهاته وحلوله، وهو يتعجب لماذا هي منه غضبى وهو يقدم لها النصائح والتوجيهات والحلول لمشاكلها!! ... إنها - أيها الرجل - لا تريد أياً من ذلك ألبته، وإنما ما تبغاه حقيقة هو الحديث ... والحديث فقط ... ثم إنصاتك لها بقلبك قبل أذنيك ... وتجاوبك مع مشاعرها ومشاركتها لأحاسيسها.

وكيف إذاً تساعد المرأة زوجها عند تعرضه للضغوط والمشاكل؟ ... إنه بلا شك سؤال هام جداً ... وعلى قدر أهميته قد لا تعرف إجابته أغلب النساء!!.

مساعدة المرأة لزوجها تكون أولاً باحترام صمته... ثم تشجيعه بعد ذلك، دون تقديم أي انتقادات أو توجيهات أو حتى نصائح، إلا إذا طلب زوجها منها ذلك بوضوح وجلاء.

وهنا سؤال هام يفرض نفسه. متى إذاً يُواجَه الرجل بالنصيحة؟ ومتي تُعطَى المرأة الحلول؟

إن تقديم النصائح والحلول هو من صميم العلاقات الإنسانية، بل هو من صميم الدين الإسلامي، فقد جاء بالحديث الشريف الذي رواه مسلم، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**". إن الإجابة على السؤال ... متي تقدم الحلول والنصائح؟ ... هو ... "**اختيار التوقيت المناسب**"، فليس كل ما يجب أن يقال يأتي وقته المناسب. ففي الوقت الذي يريد فيه الرجل الدعم لا يرمى بالنصائح، وبالمثل، في الوقت الذي تريد فيه المرأة التعاطف لا تطرح أمامها الحلول.

إن حاجة الرجل والمرأة إلى الدعم والتعاطف ـ في أحوال كثيرة ـ أشد من حاجتهما إلى النصائح والحلول.

كما أن اختيار طرح النصائح والحلول بإسلوب مناسب لشخصية المنصوح لأمر في غاية الأهمية، لأن الشخصيات تتباين تبايناً صارخاً، يرقي في أحيان كثيرة لتكون متناقضة تناقضاً واضحاً ... فمنها الحساس ومنها البليد ... منها الرقيق ومنها الجفر ـ منها اللين ومنها العنيد ... منها العاطفي ومنها العقلاني ... منها السمعي ... ومنها البصري ... ومنها الحسي ... ومنها .... ومنها ... وبقدر هذا التباين وذاك التناقض تكون الأساليب المناسبة متباينة متناقضة.

إن إسلوب الرجل عند محاولته تخفيف مشاكل رجل مثله هو التهوين من شأن وحجم هذه المشاكل، وهو إسلوب قد يكون ناجحاً بين الرجال، ولكنه

في الواقع فاشل مع النساء فشلاً ذريعاً. فعندما تقص امرأة على زوجها مشكلة ما، ويحاول هو أن يطمئنها على بساطة هذه المشكلة وضآلة شأنها - كإسلوبه مع الرجال - فستعتقد على الفور أنه يستخف بمشاعرها أو أنه لا يصدقها ... فتصاب بنوع من الإحباط، لا تلبث أن تعبر عنه بطريقة قد لا يحسن هو فهمها، فيظل عليهما الخلاف بسحبه القاتمة ووجهه الكالح.

خامس عشر: **عند توجيه اللوم والاعتراف بالخطأ**:

عند حدوث مشكلة أو التعرض لفشل ما، فإن الرجل يبدأ - وبدون تفكير - بإلقاء اللوم والتقصير على الآخرين، ويعلق*سباب هذه المشكلة وذاك الفشل عليهم، مبرئاً بذلك نفسه، ومبيناً أنه ضحية، ولكنه بعد فترة من التفكير يتمكن من إدراك مقدار مساهمته في وقوع هذه المشكلة أو حدوث ذاك الفشل. وإنه من العسير على الرجل أن يقر بخطأ ارتكبه، لأن الخطأ بالنسبة له يساوي الإخفاق الذي يخشاه ويتحاشاه ... وإذا وقع داراه. كما أنه لا يحب أن يظهر بمظهر الفاشل، فالرجل حين يضل طريقه وهو يقود السيارة بمفرده، فسوف يسأل المارة عن الطريق الصحيح، ولكن حينما تكون زوجته معه فإنه لا يفكر مجرد تفكير أن يستعين بأحد ليهديه إلى الطريق المطلوب. إن إقدامه على الاستعانة بغيره في حضرة زوجته يعني عنده أنه فاشل ... هكذا يتصور ... ولذلك فهو لا يسأل - في وجودها - أحد.

أما المرأة عند وقوع مشكلة أو التعرض لفشل ما فإنها - وبدون تفكير - تلقي باللائمة والتقصير على نفسها وتعلق أسباب هذه المشكلة وذاك الفشل عليها - هذا في البداية - وبعد فترة من التفكير تتمكن من إدراك مقدار مساهمة الآخرين في صناعة هذه المشكلة أو ذاك الفشل. كما أن المرأة لا تجد أي غضاضة في الاعتراف بخطئها، لأن هذا يمثل في عالمها شكلاً من أشكال الترابط وبناء الثقة.

... آليتين متضادتين...!!

مثـال:

أثناء مشادة بين الزوجين ...

- هي: أنا المخطئة لأني قبلتك زوجاً (تلوم نفسها)
- هو: الله يسامحك يا أبي.. أنت السبب في زواجي الفاشل هذا (يلوم آخرين).

ولذلك عند حدوث مشكلة، قد يلقي الرجل في البداية باللوم على زوجته، التي تظن خطأً - طبقاً لطبيعتها الأنثوية - أن زوجها فكر في إمكانية مساهمة الآخرين ومساهمته هو شخصياً في تكوين هذه المشكلة وخلص كنتيجة نهائية إلى أنها هي السبب وراءها، وأنها هي المخطئة الأولى والأخيرة. أما إذا ألقت المرأة اللوم على زوجها عند وقوع مشكلة، فإن الرجل قد لا يعطي لذلك الأمر أهمية ذات بال ولا يأخذه مأخذ الجد لتصوره - طبقا لطبيعته الرجولية - أن لوم زوجته له إنما جاء كخطوة أولى، وأن زوجته بعد فترة من التفكير ستكتشف أنه برئ منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

عندما يستبد بالرجل الشعور بالقلق والإحباط نتيجة وقوعه في مشكلة كبيرة أو بعض المشاكل المتعاقبة فإنه يصعب عليه - في العادة - إدراك مقدار مساهمته في صناعة هذه المشاكل، ومن ثم يكون إلقاء لومه على الآخرين هو الأبرز. أما المرأة التي تعاني من نفس الشعور بالقلق والإحباط نتيجة وقوعها في مشكلة كبيرة أو بعض المشاكل المتعاقبة - فعلى النقيض من ذلك - يزداد عندها توجيه اللوم لنفسها وتبالغ في جلد ذاتها.

سادس عشر: **في تشكيل الرأي واتخاذ القرار:**

يشكل الرجل رأيه بعدما يفكر ملياً وحده، ويبني هذا الرأي - في الغالب - على المنطق والعقل، ثم بعد ذلك يتشاور مع الآخرين في هذا الرأي، ثم قد يثبت ... بعد المشورة ... على رأيه أو يغيره. فرأي الرجل الذي يشكله قبل المشورة ليس "قراراً" نهائياً، بل "**رأياً**" قابلاً للتغيير.

أما المرأة فإنها تتشاور أولاً وذلك من منطلق اهتمامها بالعلاقات الاجتماعية وحرصها على مشاعر الآخرين، ثم تبدأ بالتفكير... وإعمال العاطفة واستخدام الحدس ... ثم تتخذ **قرارها النهائي** بعد ذلك.

... آليتين متدابرتين ...

الرجل يفكر ليكون رأياً ثم يتشاور وبعد ذلك يتخذ قراراً ... **أما المرأة** فتتشاور أولاً ثم تفكر لتتخذ قراراً.

ولذلك كثيراً ما نرى الرجل يعرض "**رأيه**" في أمر ما على زوجته، فإذا بها تستاء منه، ظناً منها أن هذا "**قرار**" نهائي - كطبيعتها - وأنه استبعدها من حساباته وأنه تجاهلها في إتخاذه لهذا "**القرار**" ولم يهتم بها ولا بأخذ مشورتها. ولكن الحقيقة أنه حين سألها رأيها كان مستعداً بالفعل لسماعها ومناقشتها، وتغيير "**رأيه**" إذا وجد رأيها هو الأصوب. أما إذا أخبرت المرأة زوجها "**بقرار**" إتخذته، وهو - كطبيعتها - "**قرار**" نهائي، نجده يناقشها فيه ظناً منه - كطبيعته - أن هذا مجرد "**رأي**" وأن الموضوع لازال قابلاً للنقاش، مما قد يسبب لها شيئاً من الضيق.

يستخدم الرجل المنطق والعقل في إتخاذ القرار ... والمرأة عند إتخاذها للقرار تستخدم العاطفة والحدس ... وتعتبر طريقة كل منهما هى الإسلوب الأمثل بالنسبة له. وكما يخطئ حدس المرأة أحياناً، فمن الممكن أيضاً - وبنفس القدر - أن يخطئ منطق الرجل. إن الوضع الأمثل للتفاهم بين الرجل وزوجته هو محاولة التوازن بين العقل والمشاعر وبين المنطق والحدس ... هو محاولة الرجل لأن "**يستمع ليفهم**" ومحاولة المرأة "**الإفصاح عما بداخلها بإسلوب يفهمه الرجل**". ويمكن تحقيق ذلك عندما يتعلم الرجل اللغة التي تتكلم بها المرأة وأن تتعلم المرأة اللغة التي يفهمها الرجل.

وهنا يجدر أن ننوه إلى أن الرجل يجزم بأن المرأة كثيراً ما تصدر "قرارات" ولكنها سرعان ما ترجع عنها وتتنكر لها، ولأجل هذا شاعت عبارة "كلام نساء" في أوساط الرجال، والتي تظهر النساء على أنهن لا يحترمن كلمتهن ولا يفين بوعودهن. مبعث ذلك أن الرجل **يعتقد أن زوجته قد قررت أشياء أثناء حديثها معه ولكنها في الواقع كانت تتحدث فقط لتكون فكرةً، لا لتصنع قراراً.**

مثـــال:

مناقشة بين زوجين لقضاء عطلة نهاية العام:

هو: ما رأيك بقضاء عطلة نهاية العام في القرية؟

هي: لا اعتقد أن الأطفال يحبون ذلك. فلنذهب هذا العام إلى أحد شواطئ البحر القريبة.

يذهب الزوج ويحجز تذاكر السفر وأماكن الإقامة بالفندق ويعود "مبشراً" زوجته.

هو: لقد اشتريت تذاكر السفر وحجزت الإقامة بالفندق في بلدة كذا الشاطئية القريبة من هنا.

هي: (وقد تملكها الغضب) لماذا صنعت ذلك قبل أن نقرر سوياً؟ أنت دائماً تتجاهلني ولا تعتد برأيي.

هو: ألم نتفق قبل ذلك وأنتِ التي اقترحتِ المكان!!

هي: لم يحدث، لقد كنا نتحدث معاً فقط.

هو: .... !!!! .... !!!!

إنه اعتبرها قررت - لأن هذه طبيعته - وهي كانت تتحدث فقط لتتشاور - وهذه طبيعتها - ولم تقرر شيئاً بعد، ولذلك حدث الخلاف وسوء الفهم.

ولذلك كان تجنيب المرأة من التدخل المباشر في بعض الأمور التي تستلزم وضوح القرارات وحسمها هام للغاية لتسير هذه الأمور بطريقة سليمة. وقبل أن

يساء الفهم، فلنأخذ مثال تدخل امرأة في زواج ما تدخلاً متوغلاً للنخاع. أترى هذا الزواج يتم أم ينتهي وينفض؟ ... إن المرأة قادرة بحذق أن تشعل شرارة زواج ... قادرة بمهارة على استجلاب العرسان إلى العرائس والعكس ... قادرة باحتراف على أن تُعرف العريس على العروس ... ولكن ... عند إبرام الإتفاقيات الملازمة لإتمام عقد النكاح يأتي دور الرجال ... والرجال فقط، فإذا ما تمادت المرأة في التدخل التوغلي النخاعي المباشر والأصيل أثناء الإتفاقيات، وأرادت أن تلعب دور الرجال، تَعرقل الموضوع ... وتبخر. ولذلك لا أنصح عريساً أن يعقد إتفاقاً مع أم عروسه - أو أي امرأة من طرف العروس - في شأن زواجه منها، إنما الإتفاقيات التي من هذا الصنف تبرم مع أولياء أمر العروس من الرجال فقط ... وليس في هذا ما يحط من شأن المرأة ... بل فيه مراعاة لطريقتها في تشكيل الرأي وإتخاذ القرار.

سابع عشر: في الجسارة وخوض الأخطار:

يجد الرجل في نفسه رغبة في الاقتراب من الأخطار ومداعبتها، بينما ترغب المرأة في الابتعاد عنها وتجنبها. لذلك نجد للرجال رغبة أكثر من النساء في ممارسة الأنشطة التي تتسم بالجسارة والشجاعة، كالتوغل في البحر سباحة، وقيادة السيارة سريعاً، وتسلق الجبال صعوداً. وتعتبر هذه الجسارة والجرأة في خوض الأخطار عند الرجل من دواعي ومستلزمات السعي والكد في الأرض حيث ميدان عمله الفطري، بينما لا تحتاجها المرأة داخل منزلها ومع أسرتها حيث ميدان عملها الطبيعي.

... سبحان الله ...

... كل مهيأ لما خلق له ...

ثامن عشر: في طلب الراحة:

مفهوم الراحة عند الرجل هو الإبتعاد عن المناقشات والمنافسات والصراعات التي يموج بها العمل والشارع، ويلتمس الرجل المتعب الراحة بمكان يتسم بالهدوء الشديد، حيث يتحقق له فيه أخذ هدنة من أي مناقشة أو منافسة أو صراع. أما المرأة المتعبة فتتلمس الراحة في الحديث مع الآخرين.

ويعتبر البيت هو ملاذ الراحة للرجل والمرأة على السواء، بيد أن الرجل يحب أن يجد فيه السكون والهدوء، بينما تحب المرأة أن تجد فيه حريتها في الحديث.

... سبحان الله ...

... نقيضان ...

... الرجل راحته في السكون التام، والمرأة راحتها في الحديث المستمر ... ويجمعهما بيت واحد!!

> إنه لا يقوى على سماع كلمة ... وإنها لا تستطيع أن تصمت لحظة ...

تاسع عشر: في التطوير والتغيير:

جبلت المرأة على حب التطوير والتغيير المستمر للأشياء، فتراها تشرع في تعديل ديكور المنزل وتقوم بإعادة ترتيب الأثاث أو شراء مستلزمات جديدة للمطبخ رغم صلاحية القديم. أما الرجل فلا يعبأ بتطوير ولا يهتم بتغيير، مادامت الأشياء تعمل بصورة سليمة صالحة. ومن الذين ينالهم حظ أوفر من محاولات التطوير والتغيير التي تمارسها المرأة هو زوجها! ... فتراها تحاول تغيير مظهره ... مثلا ... والذي في نظرها يحتاج إلى بعض التطوير والتغيير، فيصاب الرجل حينئذ بالضيق، لأنه ينظر إلى هذا الأمر كأن زوجته ترى أن به عطلاً يحتاج إلى إصلاح

... فتأخذه "رجولته" فيرفض محاولة "إصلاح عطب" مظهره. وربما يفسر هذا عدم تقبل بعض الرجال ـ باستمرار وبإصرار ـ ترشيح زوجاتهم لهم ارتداء ملابس بعينها عند خروجهم من البيت للعمل أو لزيارة آخرين.

إن الرجل حين يحب امرأة فإنه يرتضيها على ما بها من حسنات وسيئات، ولا يحاول أن يجري أي محاولة لتغييرها... وهو يحب أن يُعامل بنفس الطريقة أيضاً ... يُحِب أن يُحَب على ما به من حسنات وسيئات ويرفض أي محاولة لتحسينه أو تطويره من قبل زوجته. أما المرأة فتعتقد خطأً أنها إذا منحت زوجها الحب فإن محاولاتها كلها لتغييره سوف تنجح ... إنها لا تعلم أن حبها فقط يعجز عن تغيير زوجها ... إنما يتغير الزوج إذا شعر بقبول زوجته به كما هو بما فيه من محاسن وعيوب ... يتغير الزوج إذا شعر بعدم رغبة زوجته في إصلاحه وتعديله ـ عندها فقط يشرع في التغير ... كثيراً أو قليلاً ... سريعاً أو بطيئاً.

عشرون: **في تقدير القيمة النفسية والمادية للهدايا**:

يظن الرجل أنه بتقديمه هدية واحدة غالية الثمن لزوجته، ثم ينقطع عن تقديم غيرها بعد ذلك، أنه سيحظي منها برضى يدثره شهوراً مديدة ... وهذا خطأ فادح ... لا يكاد ينجو من الوقوع فيه رجل واحد. إن الرجل لا يدرك أن الهدايا كثيرة العدد البسيطة المتعاقبة أربى عاطفياً عند زوجته من هدية واحدة غالية الثمن. ولذلك كان من الطبيعي أن تملأ الدهشة والعجب أحد الأزواج عندما وجد زوجته سعيدة سعادة بالغة حينما أهداها باقات متتالية من ورود، بينما لم تسعد كثيراً عندما أهداها من قبل سيارة فارهة جديدة غالية الثمن. إن الرجل لا يستوعب أن الهدايا البسيطة زهيدة الثمن لها نفس الأهمية النفسية للهدايا غالية الثمن، وأن القيمة الفعلية للهدية هي في تعبيرها عن اهتمام الرجل بزوجته وحبه لها الذي ينبغي أن يؤكده لها بصفة مستمرة وذلك بتقديم هدايا متتالية متعاقبة متواصلة بغض النظر عن قيمتها المادية.

إن الهدايا لها حظ إذا وردت أحظى من الابن عند الوالد الحدب

واحد وعشرون: **في سرعة الاستجابة للمؤثرات والتغير من حالة إلى أخرى:**

المرأة - في الغالب - أسرع استجابة للمؤثرات من الرجل، كما أن قدرتها على التحول السريع من حالة إلى أخرى تفوق ذات القدرة لدى الرجل. ويرجع ذلك - كما سبق الإشارة - لتفوق فاعلية الجسم المندمل بمخ المرأة عن مثيله بمخ الرجل.

أمثــلة:

✿ عندما يتلقى الرجل وزوجته خبر وفاة عزيز لهما، نجد الزوجة تستجيب لهذا الخبر على الفور وتتعامل معه بسرعه فائقة، أما الرجل فيمكث برهة غير قادر على استيعاب الخبر.

هي (وفوراً): يا مصيبتي ..!!. يا دهوتي ..!!. يا ......!!.

هو (مذهولاً): معقول مات !!... معقول!!... دا كان زي الحصان!! ...

✿ على عكس حالة السيولة الكلامية التي تظهر فى فترة الخطوبة بين الرجل وخطيبته، يصاب الرجل بعد الزواج بفترة - قد تطول أو تقصر - بما يسمى بالسكتة أو الصمت الزوجي ... لماذا؟ ... إن أحد الدوافع الهامة التي تسبب

الصمت الزوجي (وهى كثيرة) هو أن الرجل في أثناء فترة الخطوبة يحاول أن يهيئ نفسه لينتقل من حالة الأعزب إلى حالة الخاطب والزوج، وأنه يستخدم الحديث مع خطيبته كأحد الوسائل الفاعلة ليقتنع هو داخلياً بانتقاله إلى هذه الحالة الاجتماعية الجديدة، وقد يستغرق هذا بعض الوقت ... طال أم قصر... وعند إتمام الزواج يمسي الرجل في غير حاجة إلى مزيد اقتناع بتغير حالته الاجتماعية، وبالتالي ليس في حاجة إلى مزيد حديث ... فيصاب بالسكتة.

وهنا يجدر بنا ذكر بعض من أشهر دوافع الصمت الزوجي الأخرى . حتى لا تنحصر بأذهاننا في السبب السابق ذكره فقط . والتي ربما يمثل فيها الصمت وسيلة حكيمة للهروب من المشاجرات الزوجية، مثل:

(١) تناقض آراء الزوجين في كثير من الأمور.

(٢) عدم الصراحة والوضوح بين الزوجين.

(٣) إيثار الصمت على إثارة النقد الهدام (أو الصحيح الذي يقال في غير وقته المناسب وبغير جرعته الملائمة) ومن ثم النكد.

(٤) إتساع الفارق بين ثقافة واهتمامات وميول وطباع ونضج وعمر كل من الزوجين.

(٥) عدم اهتمام أحد الزوجين بالآخر الاهتمام الكافي.

(٦) الرتابة في الحياة الزوجية.

(٧) ضغط الظروف الاقتصادية القاهرة.

✿ إذا طالت فترة الخطوبة عن حد معين تظهر الفتاة . في الغالب . استعجالاً لإتمام الزفاف أكثر من فتاها، لأن فترة تأهلها النفسي لتصبح زوجة أقل بكثير من ذات الفترة لدى خطيبها.

ثاني وعشرون: في استقبال العطف وإظهار الضعف:

يصعب على الرجل أن يقبل من أحد عطفاً وإشفاقاً، لأن هذا العطف وذاك الإشفاق يعتبران عنده دليل على ضعفه، والرجل يكره الظهور أمام الناس ضعيفاً، وأن إشعاره بضعفه أمر يؤلمه أشد الألم. من أجل ذلك لا ينبغي للمرأة أن تؤنب زوجها تأنيباً يوحي له بضعفه، وتمطره بمثل هذا الصنف من الأسئلة:

... ألم أحذرك من فعل ذلك؟ ...

... ما الذي جرى لك لتصبح هكذا ؟ ...

... لماذا تفعل هذا الأمر بهذه الطريقة السيئة؟ ...

... فالرجل يعتبر هذا اللوم نيلاً من رجولته وإتهاماً لقدراته وإظهاراً لضعفه، ولذلك كان من الضروري أن تتوقف المرأة عن إلقاء هذا النمط المدمر من الأسئلة حفاظاً على راحة زوجها وتقديراً لطبيعته.

المرأة - بالمقابل - تريد العطف، بل ليس من المبالغة إن قيل أنها تبحث عنه، وهي - في الغالب - لا تمانع من أن تعترف بضعفها. وبعكس الرجل، فهي تنظر إلى العطف على أنه تعبير سليم عن الحب. ولذلك لا يجب على الرجل أن يغض الطرف عن طلب زوجته للعطف، لأنها ترمي بذلك أن تنال منه حباً، وعليه أن يستقبل هذا الأمر بكل حنان وتقدير.

ثالث وعشرون: في الاحتياجات العاطفية:

للرجل والمرأة احتياجات عاطفية أساسية، ذات تأثير بليغ على إيقاد وإنماء وإبقاء جذوة الحياة الزوجية مستقرة مستمرة مستعرة بينهما.

ويقف الحب على قمة هذه الاحتياجات العاطفية لكل من الرجل والمرأة على السواء. وتشمل احتياجات الرجل العاطفية الرئيسية الأخرى على:

(١) قبول زوجته به.

(٢) ثقتها فيه.

(٣) تقديرها له.

أما أهم احتياجات المرأة العاطفية الرئيسية الأخرى فتتلخص في:

(١) تفهم زوجها لها.

(٢) رعايته إياها واهتمامه بها.

(٣) احترامه لها.

وهناك احتياجات عاطفية أخرى للرجل والمرأة ولكنها كلها - تقريباً - تنبثق من هذه الاحتياجات الأساسية السابقة وتحوم حولها.

والرجل بفطرته قادر على تلبية احتياجات شريكة حياته العاطفية، كما أن المرأة أيضاً بفطرتها تستطيع أن تلبي الاحتياجات العاطفية لشريك حياتها.

يتم حصول كل من الرجل والمرأة على احتياجاتهم العاطفية من شريك الحياة بإقامة علاقة تبادلية، يبذل فيها كل طرف ما عليه بذله لإرواء الطرف الآخر. وطريقة البذل المثالية هي:

(١) أن أبدأ أنا أولاً بعمل ما يجب عليَّ عمله (أو بمنح ما يجب عليَّ منحه)، ولا أنتظر أن يبدأ الطرف الآخر بالعمل (أو بالمنح).

(٢) أن أفعل ما يجب عليَّ فعله ولا أتعجل النتيجة ... التي سوف تأتي بإذن الله في حينها المقدر لها ... طال الزمان أم قصر.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب

أ) الحب كاحتياج عاطفي لكلا الجنسين:

الحب شعور فطري جميل رقيق رهيف. كتب فيه وقرأ، وعاشه وتعايشه الرجال والنساء ... الكتاب والشعراء .... العلماء والجهلاء ... الأغنياء والفقراء ... الكبراء والحقراء ... شباب وشيبان ... في جميع الأماكن والأزمان ... تحفل به

القصص والروايات ... والصحف والمجلات ... والأفلام والمسلسلاتِ ـ وتنسج عليه خيالات حياة الكل بها هائم ... وتتسب إليه اندلاع العديد من الحروب وارتكاب الكثير من الجرائم.

... ولأجل ذلك كله ... وأيضاً ... بالرغم من ذلك كله ...

... لم يُوَفَّ الحب وزنه ... ولم يُحترم قدره ... ولم يُثمن أثره ... إلا فتاتاً ... كيف هذا؟!

إن للحب المعنوي دوائر كبيرة كثيرة ... أكبر وأكثر مما تصورنا واعتقدنا ... أكبر وأكثر مما ألفنا وتعودنا ... أكبر وأكثر مما سمعنا وتعلمنا ... أكبر وأكثر مما أوهمتنا به أجهزة الإعلام ونظم التعليم وأدوات الثقافة والتي حصرته ـ غالباً ـ في ذلك الركن الضيق الصغير الحقير من الحب المحرم بين الرجل والمرأة.

❁ فدائرة الحب الأولى هي حبنا لخالقنا ورازقنا، والذي نعمه علينا لا تحصى ولا تستقصي ... والذي بإرادته وحده وُجِدنا ... وبفضله وحده رزقنا ... لرضاه فقط نحيا ... ولأجله فقط نموت ... والذي ندعوه أن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أعلنا وما أسررنا، وأن يظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يمتعنا بالنظر لوجهه الكريم تفضلاً منه وإحساناً، فهي نعمة النعم التي فاقت كل النعم.

❁ والدائرة الثانية هي حبنا لصفي الله ورسوله ﷺ قائدنا وزعيمنا وقدوتنا وأسوتنا ـ بسنته نقتدي ... وبسيرته نهتدي ... وندعوا الله ﷻ أن يجمعنا به يوم القيامة وعيناه بنا قريرة، ويدخلنا مدخله، ويسقينا بيديه الشريفتين شربه هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

❁ والدائرة الثالثة هي حبنا لتلك الكوكبة المباركة من الرسل والأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم)... الذين حملوا لواء التوحيد عبر العصور والدهور،

وبين القرى والكفور ... ثابتين صابرين محتسبين حتى لقوا ربهم وهو عنهم راض.

❁ والدائرة الرابعة هي حبنا للصديقين والشهداء والصالحين من البشر منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ... هي حبنا لأتباع الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) أينما كانوا زماناً ومكاناً ... حبنا لصحابة رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله عز وجل من بين خلقه لرفقة نبيه ﷺ وصحبته ... رضي الله عنهم جميعاً ... فلولاهم ما انتقل إلينا هذا الدين ... أثمن هدية ... في هذه الدنيا ... فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

❁ والدائرة الخامسة هي حبنا لإخواننا في ديننا وأبناء عقيدتنا أولئك الذين مضوا، وأولئك الذين ينتظرون، وأولئك الذين سوف يأتي بهم الزمان ... حباً ملك علينا القلوب، وحرك فينا الجوارح ... حباً يشعرنا بأننا جسد واحد، رغم تباين الزمان والمكان ... وحلم واحد، رغم تعدد الثقافات والمشارب.

❁ والدائرة السادسة هي حبنا لآبائنا وأمهاتنا أصحاب الفضل الجليل علينا ... كم ضحوا وبذلوا شهوراً طويلة وسنين مديدة ... سعدوا حين فرحنا ... وشبعوا حين طعمنا ... وارتووا حين شربنا ... فجزاهم الله خير الجزاء... ونسأله سبحانه أن يتقبلهم في الصالحين وأن يجمعنا بهم في مستقر رحمته.

❁ والدائرة السابعة هي حبنا لزوجاتنا وأزواجنا ... شركاء الحياة ورفقاء العمر ... منابع السكن والمودة ... منابت الابن والابنة ... نسأله سبحانه أن يصحبوننا في نعيم جنانه ... كما صحبونا بخير في دنياه وعلى دينه.

❁ والدائرة الثامنة هي حبنا لأبنائنا وبناتنا حباً فطرياً عميقاً ... تنادينا به كل خلية من أجسامنا... فهم بحق حبات القلوب وفلذات الأكباد ... أعاننا الله على تأدية رسالتنا نحوهم ... وجعلهم قرة أعين لنا ... وجمعنا بهم في فردوسه الأعلى.

❁ والدائرة التاسعة هي حبنا لذوي أرحامنا وأهلينا حباً يدفعنا لوصالهم وبرهم والدعاء لهم.

❁ والدائرة العاشرة هي حبنا للناس كل الناس ... حباً يدفعنا للتراحم معهم والشفقة بهم والصبر عليهم والدعاء لهم بالهداية والرشاد.

❁ والدائرة الحادية عشر هي حبنا لسائر المخلوقات التي يزخر بها هذا الكون، حباً يترجم كل معاني الرأفة والرحمة في التعايش والتعامل، ومعاني التدبر والتأمل بالنظر والتفكر. وما تأتي هذه الرأفة ولا تنبع تلك الرحمة إلا من مستودع حب كبير، يملأ القلوب ويحرك الجوارح.

هذه الدوائر المتتابعة من الحب المعنوي كأنها أمواج لينة هينة رقيقة، ترسو بالإنسان برفق على شاطئ إنسانيته ... بعد طول تخبط وتردي ... حتى يكون إنساناً ... كما أراده خالقه سبحانه.

إن الحب فطرة ركزها الله الرحيم في قلوب العباد رحمة بهم، وطالبهم أن يستثمروه في هذه الدوائر السالفة استثماراً يقربهم منه عز وجل، ولا يحصروه في ذلك الركن الضيق الصغير الحقير من الحب المحرم بين الرجل والمرأة، والذي أوهمتنا به أجهزة الإعلام ونظم التعليم وأدوات الثقافة.

إن كلمة "الحب" كمصدر وردت في القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعاً موزعة الإشتقاق متباينة التركيب ولكنها تصب جميعاً في مورد العاطفة النبيلة وتؤكد الشمولية وترتفع فوق درك العلاقة المادية بين الرجل والمرأة في إطارها المحدود وإن شملتها.

إن هذا هو الحب بمفهومه الشامل الكامل.

... ألم أخبرك أنه...

... لم يُوَفَّ الحب وزنه ... ولم يُحترم قدره ... ولم يُثمن أثره ... إلا فتاتاً.

ومن هذا التحليق السريع في أجواء دوائر الحب الكثيرة، نهبط إلى الدائرة السابعة محط الحديث، وهي حب الزوجين شركاء الحياة ورفقاء العمر.

الحب شعور إذا تملك الرجل غمره بالاطمئنان والسعادة ودفعه ليعمل ويجتهد وينجح ويضحي ويخلص، وإذا استحوذ على المرأة حلق بها في أجواء السعادة والهناء، وجعلها تضحي وتتحمل وتصبر وتتطور. إنه الشعور الذي في ثناياه الدفيئة وظلاله المديدة الندية يشعر الرجل بقيمة كبيرة لرجولته، وتشعر المرأة بروعة خلابة لأنوثتها.

على مدار التاريخ الإنساني كله لم يحظ موضوع ما بالاهتمام والمعالجة والمناقشة والمعايشة والبحث والدراسة والكتابة والتأليف مثلما حظي الحب. ولذلك ما أحسبني سأضيف جديداً في الكتابة عنه، ولكن من الجدير ذكره أنه عادة ما يلازم الشعور بالحب الوجد والعشق، فتستهلك حينئذ فيه الأبدان وتشقى به القلوب وتتحير بسببه الألباب وتحرق فيه الأعصاب كقول البحتري:

بكل سبيل إلى النساء قتيل	وليس إلى قتل النساء سبيل
ولولا الهوى ما ذل في الأرض عاشق	ولكن عزيز العاشقين ذليل

و قال آخر:

وجدت الحب نيراناً تلظى	قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت إذا احترقت تفانت	ولكن كلما احترقت تعود
كأهل النار إذ نضجت جلودٌ	أُعيدت للشقاء لهم جلود

وإذا ألقى الحب شباكه حول رجل وامرأة فالأولى لهما هو الزواج، إن توافرت الشروط الهامة التي تهيئ بناء الأسرة على أسس من الدين والتكافؤ ورضى الآباء أو أولياء الأمر وسائر الأمور الأخرى التي تكسب الزواج قبولاً واطمئناناً. ففي حديث أخرجه بن ماجة والحاكم والبيهقي والطبراني وغيرهم عن بن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلاً قال: "يا رسول الله، في حجري يتيمة قد

خطبها رجل موسر ورجل معدم، فنحن نحب الموسر وهي تحب المعدم، فقال رسول الله ﷺ: لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح".

وبرزت أهمية وجود الحب بين الزوجين في شفاعة النبي ﷺ لرجل محب حتى يجتمع مع من أحبها كزوجين تحت سقف واحد، في حديث رواه البخاري أن "مغيث" كان يمشي خلف زوجته السابقة "بريرة" بعد طلاقها منه وقد صارت أجنبية عنه، ودموعه تسيل على خديه. **فقال النبي ﷺ: "يا ابن عباس، ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة مغيثاً؟ ثم قال ﷺ لها: لو راجعتيه. فقالت: أتأمرني؟ فقال ﷺ: إنما أنا شافع. قالت: لا حاجة لي فيه".** فسكت ﷺ لأنه عرف أنه حب من طرف واحد ... وهو صنف من الحب يصعب استمراره ... إلا بمرارة.

وهناك أمر ما برح الشباب به يعتقدون وهو ضرورة أن يكون بين الشاب والفتاة حب جارف قبيل الزواج.

إن الواقع الذي نحياه يقدم لنا أصدق خبر عن هذا الاعتقاد. فلقد ثبت بالإحصائيات والدراسات أن نسبة كبيرة من الذين تزوجوا بعد قصص حب عنيفة سمع بها القاصي والداني استحالت حياتهم بعد الزواج إلى نقيض ما كانت قبله وانتهت أغلبها بالطلاق. كما ثبت أيضاً أن الغالبية العظمى من المطلقين مروا بفترة حب جارفة، ظنوا أنها لن تبيد أبداً ... ولكنها بمرور الأيام تقوضت وانتهت ... وتركت ما تركت من آلام وجراح.

ولكن لابد قبيل الزواج من توافر القبول وشيئ من الإنجذاب والإعجاب ... قبول الفتاة بالشاب وإعجاب الشاب بالفتاة، وعندما يدب الحب بينهما يكون من صنف الحب الرومانسي الخيالي الحالم الذي يجعل الإنسان يرى فيمن يحب صورة الرجل المثالي أو المرأة المثالية، وتلك صورة لا يمكن أن يحياها إنسان في عالم الواقع، كما أن هذا الصنف من الحب وحده لا يقيم بيتاً ولا يرعى أطفالاً ولا يصمد طويلاً أمام مسؤوليات الحياة ومصاعبها. لقد وعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ذلك عندما قال له رجل: إنني لا أحب زوجتي. فرد عليه قائلاً: "**إن**

البيت لا يبنى على الحب". أجل إن البيوت لا يبنيها ولا يديمها ذلك الصنف من الحب الرومانسي.

وهناك أمر يحير المتزوجون وعنه كثيراً ما يتساءلون ...

لماذا تتسم العلاقة الزوجية في بدء تكونها أثناء فترة الخطوبة بالحب والشوق والعاطفة الجياشة؟ ... لماذا تزينها الكلمات الرومانسية والأحلام الجميلة والعبارات الساحرة؟

... ثم بعد ذلك ...

... يخفت ذلك كله ...

... ثم ....

... يتبخر ... أو يكاد ...

قد لا يعلم أغلب الناس أن حب الخطيبين شيئ وحب الزوجين شيئ آخر. حب الخطيبين حب رومانسي حالم ـ كما سبق الذكر ـ أما حب الزوجين فحب صداقة وعشرة ... والفارق بينهما كبير. فالحب الرومانسي الحالم ذو مقومات وخصائص وأساليب ووسائل ومسؤوليات تختلف كلية عن ذات المقومات والخصائص والأساليب والوسائل والمسؤوليات التي يقوم عليها حب الصداقة والعشرة.

ومن أجل استمرار الحياة الطيبة بين الزوجين يستلزم أن يتطور هذا الحب الرومانسي الحالم إلى حب الصداقة والعشرة، وإذا لم يتم هذا التطور بطريقته السليمة افتقدت الحياة الزوجية ركيزة هامة لاستقرارها. وتعتمد إحدى الخطوات الهامة لنيل هذا التطور على تنمية الجوانب الأنثوية لدى الزوج وفي نفس الوقت تنمية الجوانب الذكرية لدى الزوجة.

... كيف ذلك ...

إن الرجل من خلال حبه لزوجته وعشرته الطيبة معها، يطور الجوانب الأنثوية داخله، كأن يحاول أن يكون معها رقيقاً رفيقاً هيناً ليناً وأن يجهد نفسه ليتحدث معها بالمشاعر والأحاسيس ويتفهم حديثها غير المباشر ويوفر لها إثبات ذاتها ببيتها ويحاول أن يستقرئ حاجاتها ويسارع في تلبيتها ويصبر على الاستماع لها صبراً جميلاً ويتحمل تقلب مزاجها ويتشاور معها برفق ويحترم رغبتها وعقلها، ويغدق عليها بالهدايا ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ويثني عليها وعلى أعمالها ويروي كل احتياجاتها العاطفية، كل ذلك مع احتفاظه بصفاته الذكرية في توازن رائع. إنها كلها جوانب أنثوية لا تتم تنميتها داخله إلا في وجود زوجة حبيبة قريبة إلى قلبه، بينه وبينها من المودة والإلف ومن الرحمة والتفاهم القدر الكبير. فإذا ما نجح في تطوير هذه الجوانب الأنثوية تناغم في حياته مع زوجته. أما إذا رفض الرجل تطويرها في عقله اللاواعي فإنه سيتأذى كثيراً أثناء علاقته بزوجته ... إنه حينئذ لا يرفضها هي كامرأة ولكنه يرفض تنمية جوانبه هو الأنثوية.

كما أن المرأة من خلال حبها لزوجها وعشرتها الطيبة معه، تطور الجوانب الذكرية داخلها، كأن تتحمل مشاق خدمته وكثرة طلباته وتحترم صمته وتقدر طريقة تفكيره وتجتهد في أن تحدثه بإسلوب مباشر وتدفعه للنجاح في عمله وإثبات ذاته خارج بيته وتعذره في عدم قدرته علي التركيز في عدة أعمال وتتحمل ميله للاستقلال ولا ترهقه بكثرة طلبات ولا طول إلحاح وأن تلبي احتياجاته العاطفية، كل ذلك مع احتفاظها بصفاتها الأنثوية في توازن رائع. إنها كلها جوانب ذكرية لا تتم تنميتها داخلها إلا في وجود زوج حبيب قريب إلى قلبها، بينها وبينه من المودة والإلف ومن الرحمة والتفاهم القدر الكبير. فإذا ما نجحت في تطوير هذه الجوانب الذكرية تناغمت في حياتها مع زوجها. أما إذا رفضت المرأة تطويرها في عقلها اللاواعي فإنها ستتألم كثيراً أثناء علاقتها بزوجها ... إنها عندئذ لا ترفضه هو كرجل ولكنها ترفض تنمية جوانبها هي الذكرية.

ولأجل هذا كان الحب والعشرة الطيبة مدرسة رائعة ... يتعلم فيها كل طرف من شريكه ... ومعه ... كيف يكون فناناً بحق في إراحة الطرف الآخر وإسعاده ... يتعلم فيها كل طرف من شريكه ... ومعه ... كيف يجعل من نفسه كتلة شوق للطرف الآخر لا يودها أن تغيب عن عينيه طرفة ولا عن خاطره لحظة ... يتعلم فيها كل طرف من شريكه ... ومعه ... ما لن يتعلمه إلا من شريكه ... ومعه ... في فصول هذه المدرسة الرائعة ... مدرسة الحب والعشرة الطيبة.

إن المعنى الحقيقي للحب بين الرجل والمرأة ضاع بين تفريط حصره في معناه المادي فقط، وبين إفراط حلق به في سماء الخيال والوهم، بعيداً عن الواقع والسنن الفطرية.

فكلمة "حب" في اللغة الفرنسية تتحجر - في مصدريتها - ضمن قالب العلاقة العاطفية أو المادية بين الرجل والمرأة، ولا تتجاوز ذلك إلى العلاقات الأخرى، ربانية أو إنسانية أو معنوية إلا بمتمم بياني يقترن بها. وهي تجري في اللغة الإنجليزية أيضاً على نفس النسق في المضمون والمدلول. وهذا يدل على ضيق أفق المفهوم الحضاري للحب في تلك الأمم. إنه مفهوم للحب يمثل خيطاً في النسيج العام للمفهوم المادي الذي قامت على أساسه مدنيات قديمة بادت وانتهت، والتي ترزح تحت وطأته الآن المدنيات الحديثة.

وإذا ما نبشنا في بطن التاريخ وجدنا صنفاً آخر من الحب نأى بنفسه عن التلوث بالمادية، وندر وجوده بين الناس وفي واقع الناس ندرةً كادت تؤوله إلى سراب ... ولكن كثر وجوده في خيالات السينما وإبداعات قصص الروائيين والكتاب. إنه صنف من الحب نسب إلى "بني عذرة" وهم حي من أحياء الأعراب، أبناء البوادي، أشتهرت نساؤهم بجمال بدوي أخاذ، كما نبغ فيهم شعراء أفذاذ، قلَّ أن قالوا شعراً إلا في الغزل والتشبيب ... أو ما يترتب على فقد الحبيب من رثاء ونحيب ... إنه **الحب العذري**. لقد كان عشق هؤلاء الأعراب فذ في بابه ومن طرز خاص ونسق فريد، تألقت فيه العاطفة النبيلة وصدقها، وتجلت فيه

نوازع العفاف والطهر، ثم وقفوا به عند هذا الحد لايتجاوزونه إلى الزواج حتى ولو لم يكن هناك مانع يحول دونه. ونبعت ظاهرة العفاف والطهر في شعرهم وأقوالهم وأفعالهم من حقيقة الإيمان وحفظ حدود الله. ولكن ما من شك أنهم هاموا مع عواطفهم ومشاعرهم في أجواء الخيال والوهم والمثالية غير المُدرَكة، فكان من المحتم أن يطوي التاريخ هذا الصنف من الحب الذي لا يتفق مع سنن الكون وطبيعة البشر ونوازعهم الفطرية الغريزية.

وللعذريين نوادر كثيرة حفلت بها كتب الأدب والتاريخ، منها على سبيل المثال:

قال "ابن أحمر": بينما أنا أطوف بالبيت (يطوف حول الكعبة) إذ أبصرت امرأة متبرقعة (ترتدي برقعاً) تطوف بالبيت وهي تقول:

لا يقبل الله من معشوقة عملاً	يوماً وعاشقها غضبان مهجور
ليست بمأجورة في قتل عاشقها	لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقلت لها: في هذا الموضع؟ فقالت: إليك عني لا يعلقك الحب. قلت: وما الحب؟ قالت: جلَّ والله عن أن يُخفى، وخَفِيَ عن أن يُرى، فهو كالنار في أحجارها، إن حركته أورى، وإن تركته توارى، ثم أنشدت:

غيدٌ أوانس ما هممن بريبةٍ	كظباء مكة صيدُهُنَّ حرامُ
يُحسَبنَ من لين الحديث أوانساً	ويصدُّهُنَّ عن الخنا الإسلام

وقال آخر:

وأسألها الحلال وتَدعُ قلبي	إلى ما لا أريد من الحرامِ
كداعي آل فرعون إليه	وهم يدعونه نحو الآثامِ
فظلَّ منعَّماً في الخُلدِ يسعى	وظلُّوا في الجحيم وفي السقامِ

وقالت إحداهن:

لا خـــير فـــيمن لا يراقـــب ربَّــــه عنـــد الهـــوى ويخافـــه إيمانـــاً
حجبَ التقى سُبلَ الهوى فأخو التُقى يخـــشى إذا وافـــى المعـــادَ هوانـــاً

وفي القصص الروائية والأدب العالمي تجد هذا الحب العذري . رغم عدم واقعيته . يلقى قبولاً وتقديراً وانتشاراً وتشجيعاً وتفاعلاً وانفعالاً من القراء والجماهير والنقاد والأدباء ... كما حصد العديد من الجوائز والمكافآت في شتى المسابقات، وسجله التاريخ في ذاكرته مثل رائعة شكسبير "**روميو وجوليت**" ومن القصص العالمي "**قصة حب**" و"**تايتنك**" وغيرها ... وكلها تعتبر من صنف الحب العذري الذي لم ينل فيه الحبيبان استقراراً نفسياً أو إرواءاً جسدياً، وانتهى بالانتحار أو الوفاة من أجل المحبوب، لا بالزواج وإنجاب الأطفال واستمرار الحياة الزوجية رغم العواصف والأنواء والتحديات والصعوبات.

إن ذلك ليس بالحب الحقيقي هذا الذي يتوقف عند هذه العتبة ولا يتجاوزها ... عتبة العشق والهيام والوله ... إن اختبار الحب الحقيقي لابد وأن يرتقي درجات سلم الحياة كلها من زواج وإنجاب للأبناء وعشرة طيبة ... ولابد أن يتخطى كل الأحداث والظروف بنجاح ... ولابد أن يجتاز كل المحن والصعاب بفلاح ... ولا يقف عند هذه العتبة فقط. كما أنه هو الحب الذي يظل في القلب والوجدان حتى بعد وفاة المحبوب وانتقاله إلى رحمة الله ورفقته ... هذا ما تعلمناه من حب النبي ﷺ لزوجته الطاهرة خديجة (رضي الله عنها) حباً في حياتها ووفاءً بعد مماتها، فقد كان ﷺ بعد مماتها يزور صديقاتها ويرسل إليهن بعضاً مما يذبح، ويفرح باستقبال أختها، ويذكرها بالخير دوماً، حتى غارت منها السيدة عائشة (رضي الله عنها) غيرة لم تغرها من امرأة قط وهى لم ترها.

ب) الاحتياجات العاطفية الأساسية للرجل:

١. القـــبول:

يحتاج الرجل للزوجة التي تقتنع به كما هو... أن تقبله بما فيه من إيجابيات وسلبيات، ولا تحاول إجراء أي تغييرات به. وقد تظهر المرأة أحياناً أنها قبلت رجلاً زوجاً لها ولكنها تضع في خططها المستقبلية تغييره ... إن هذا ليس بالقبول، إنما يحتاج الرجل إلى المرأة التي تتقبله لما هو عليه في الحاضر وليس لما سوف يكون عليه في المستقبل.

وعندما يشعر الرجل بعدم القبول فسيصبح أكثر تشبثاً بما هو عليه، ويضحي أرهف حساسية تجاه محاولات التغيير وأشد عصياناً ورفضاً ومقاومة لها. معظم النساء لا يعرفن ذلك وينتهجن الشكوى والإلحاح والرفض طريقاً لتغيير الرجل وتقويم سلوكه، ولهن في ذلك العذر، لأن أول ردود أفعال المرأة عندما تشعر بأن الرجل لا يقبلها هو تغيير سلوكها وتحسينه، وتَقَبلُ النصح والإرشاد، دون أن ينتابها نفس القدر من الحساسية والعصيان والرفض والمقاومة التي يبديها الرجل.

٢. الثقـــــة:

يحتاج الرجل للزوجة التي تؤمن به إيماناً قوياً، وتثق ثقة عميقة بقدراته وإمكانياته وصراحته وصدقه وسداد رأيه وصلاح شخصه وإمكانية الاعتماد عليه. إن هذه الثقة التي تمنحها الزوجة لزوجها من شأنها أن تدفعه لإخراج أفضل ما لديه وإظهار أرقى ما بداخله، كما تجعل المرأة قادرة على قبول وتقدير ما تحصل عليه من زوجها. وتمثل طاعة المرأة لزوجها وأخذ طلباته وتوجيهاته مأخذ الجد دليلاً مادياً على ثقتها به، كما تلعب الصراحة دوراً رئيسياً في تدعيم الثقة بين الزوجين.

٣ـ التقـــــدير:

يشعر الرجل بالتقدير إذا تم تثمين رأيه وطريقة تفكيره وتصرفاته وأفعاله وتخطيطه وإسلوب حياته وقراراته، الأمر الذي يحفزه لتكرار البذل والعطاء، ويحثه على التغيير ويلهمه الصبر عليه. إن التقدير هو وقود الرجل الذي يحضه على تطوير تصرفاته كماً وكيفاً، حتى حين يحبط بسبب عمله ويؤوب إلى بيته فيجد زوجته تبش في وجهه وتأخذ بيده وتشعره بتقديرها الكامل له ... فسيخفف ذلك كثيراً من معاناته ويصبح أكثر قدرة على مجابهة الصعاب والمشاكل.

ولا ننسى في هذا الموقف ما صنعته السيدة خديجة (رضي الله عنها) مع النبي ﷺ حين أخبرها بأمر الوحي الذي جاءه وهو يتحنث بغار حراء، وأنه خشي على نفسه منه، فقالت له: "**كلا، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**" (رواه البخاري). إنها قولة رائعة سجلها التاريخ على صفحاته الناصعة البياض بحروف أغلى من الماس، لتتعلم النساء ممن مَن لها بيت في الجنة من قصب لا تعب فيه ولا نَصَبَ، كيف ترفع من قدر زوجها وتشجعه وتبث فيه القوة والأمل.

كلمة في أذن المرأة:

إن منح زوجك احتياجاته العاطفية من حب وقبول وثقة وتقدير ستدفعه دفعاً ليتفانى في خدمتك وراحتك واحتوائك والإخلاص لك.

جـ) الاحتياجات العاطفية الأساسية للمرأة:

١. التفهـــــم:

تحتاج المرأة من زوجها أن يتفهم طبيعتها ويقدر مشاعرها ويتبنى أفكارها ويشاركها أحاسيسها، حتى وإن اختلفت عن طبيعته ومشاعره وأفكاره وأحاسيسه.

دعني أيها الزوج الكريم أحاورك:

أنت تقول: من غير المعقول ألا تفهم زوجتي كل هذه الأمور ...

وأنا أقول: بل إنها تفهمها ... ولكن بطريقتها هي التي تتفق مع كونها أنثى، وهي ليست خطأ من وجهة نظرها ...

أنت تقول: من غير المقبول أن تتكلم زوجتي بهذه الطريقة ...

وأنا أقول: إنها تتكلم طبقاً لإسلوبها كأنثى في التعبير ... وهو إسلوب ليس بخطأ في تصورها

أنت تقول: من غير المعقول أن تتصرف زوجتي مثل هذه التصرفات ...

وأنا أقول: بل إنها تتصرف ... ولكن طبقاً لطريقتها هي التي تتسق مع طبيعتها كأنثى، وهي ليست خطأ بالنسبة لها ...

وأضيف لك قائلاً: من غير المعقول والمقبول أن تفهم وتتكلم وتتصرف المرأة مثل الرجل، وتحاسب أيضاً كأنها رجل. أتطلب منها يا رجل أن تكون مثلك رجلاً!!

بهذا الحس أيها الزوج الكريم ستتوقف عن إصدار أحكام سلبية على زوجتك ... وبهذا الحس ستتوقف التساؤلات وعلامات الاستفهام عن رؤية زوجتك للحياة وطريقة تعاملها مع الأحداث التي تختلف عن رؤيتك وطريقتك إختلافاً واضحاً جلياً ... وبهذا الحس يتولد لديك الاستعداد لاستكشاف طريقة تفكير

زوجتك وتبرير الكثير من سلوكياتها المثيرة لعجبك ودهشتك وحيرتك ... وبهذا الحس تبدأ في حسن الإنصات لها بأذنك، والتعايش مع أحلامها بعقلك، والتحليق مع عواطفها بقلبك، والاندماج مع مشاعرها بروحك ... فيحدث ما تحتاجه زوجتك منك ... وهو ... تفهمك لها.

٢. الرعــاية والاهتمـــام:

إن المرأة سريعة التأثر باهتمام زوجها بها، كما أنها أيضاً سريعة التأثر بعدم اهتمامه بها.

إن اعتناء الرجل واهتمامه بزوجته، وإشعارها أنها عزيزة عليه، وإنها تمثل عنده قيمة كبيرة، وأن لها عنده مكانة خاصة، سيؤدي ذلك بها إلى إخراج أفضل ما لديها لراحته وخدمته، وتصير له أكثر طاعة وألين جانباً وأرق قلباً وأكثر عطاءً.

ولإدراك المرأة باحتياجها للعناية والاهتمام وتقديرها لأثرهما كان من السهل عليها أن تعتني وتهتم بالآخرين، وهذا ما تفعله المرأة بكفاءة عالية في بيتها مع زوجها وأبنائها، كما تؤديه أيضاً مع أقربائها ومعارفها بدرجات متفاوتة. أما الرجل فيفتقد مثل هذا الإدراك، فتراه يقصر بدرجات متباينة في عنايته واهتمامه بالآخرين.

هناك الكثير من الأمور التي قد لا ينتبه إليها أغلب الرجال وهي تمثل للمرأة أهمية كبرى. إنها الاهتمام بالأشياء التي تبدو بسيطة بالنسبة للرجل ولكنها تعني الكثير بالنسبة للمرأة. فالاهتمام بإحضار كوب ماء لها لتشربه، أو إصلاح صنبور ماء مطبخها، أو دعوتها لنزهة خلوية خاصة بها، أو شراء حلوي محببة إليها، أو غيرها تعني عندها أنه يهتم بها ويرعاها ويحرص على راحتها وسعادتها ... ويحبها. ونسيان هذه الأشياء التي تبدو للرجل بسيطة تشعرها أنه لا يهتم بها ولا يرعاها ولا يحرص على راحتها وسعادتها ويتجاهلها ... ولا يحبها. ذلك

لأن هذه الأشياء البسيطة تمثل لها احتياجات أو رغبات أو لمسات شخصية ... نبعت أهميتها من أنها تخصها هي. ومن أجل ذلك - أيها الرجل - إن كانت هذه الأشياء "**بسيطة**" بالنسبة لك ولكنها "**هامة**" بالنسبة لزوجتك فيجب أن تكون بالنسبة لك أيضاً "**هامة**".

كما أن المرأة تحب أن تعامل معاملة خاصة من زوجها، طالما هي تتمتع بمكانة خاصة لديه. إنها تحب عندما يدخل عليها زوجها وهي في جمع من أقربائها أن يبادرها هي بالتحية الحارة والسلام الخاص قبل أن يلتفت إلى غيرها من الناس. إن ذلك يشعرها بمكانتها المتميزة لديه ويرفع من قدرها داخل ذاتها وبين من حولها من الناس.

٣. الاحـــترام:

إن احترام الرجل لشخص زوجته يجعله يجل احتياجاتها ورغباتها وتفكيرها ورأيها ومشاعرها وأحاسيسها وارتباطه بها والتزاماته معها، كما يدفعه ليوليها اهتماماً كبيراً.

وعندما لا تتلقى المرأة الاحترام الكافي من شريك حياتها فإنها تميل إلى بذل المزيد من الجهود لإثبات قيمتها واستحقاقها للاحترام كما تميل أيضا لإخفاء مشاعر حبها له.

وتنال المرأة الاحترام كاحتياج عاطفي نفسي أساسي بوجودها في بيتها حيث تحترم لكونها زوجة وأم وملكة المنزل. ولذلك كان بحث المرأة عن الاحترام خارج البيت من الأمور العسيرة - وإن كان من الممكن إدراكه - الأمر الذي يشعرها بالتعب والإجهاد النفسي.

ولنا هنا وقفة مقتضبة ضرورية حول الاحترام والتقدير ... لأن الفارق بينهما كبير ... وكبير جداً.

إن التقدير يُعطى كثمن لأعمال ومهام أُنجزت، وهذا يستدعي السعي والكد والتعب. أما الاحترام فيُعطى لشخص المرء وماهيته بغض النظر عن قيامه بأعماله ومهامه أو عدم قيامه بها.

إن ما تؤديه المرأة في بيتها مع زوجها كزوجة وأبنائها كأم لا يستطيع أحد كائناً ما كان أن يقدره حق قدره ... لا يستطيع أحد أن يقدر عمل الزوجة الوفية الصالحة ... ولا أن يقدر عمل الأم الرؤوم الحانية ... لا يستطيع أحد كائناً ما كان فعل ذلك، ولهذا يجب أن تحترم المرأة لكونها أنثى ... ولكونها زوجةً ... ولكونها أماً.

إن قيمة المرأة وكرامتها الحقيقية تتحقق عن طريق "**ماهيتها**" وليس عن طريق "**تقدير أفعالها**".

ولذلك عندما تشعر المرأة بأنها لا تستقبل الاحترام الكافي فلن يكفيها مطلقاً تقدير الناس لها ... إنها لا ترتوي أبداً من التقدير ... بل الذي يرويها هو الاحترام ... على هذا جبلت المرأة السوية وفطرت.

إن نجاح الرجل في تغطية احتياجات زوجته العاطفية يكسبها شعوراً بالأمان، وهو شعور إن دثر المرأة أشعرها براحة نفسية غامرة، فلا استقرار نفسي للمرأة إذا لم تشعر وهي في ظل زوجها بالأمان. إن فقدان المرأة للأمان يحملها على أن تتصرف بغير أمان ... فتراها تتوجس من الحاضر القلق!! ـ وتتحسب للمستقبل المظلم!! ... وتخفي عن زوجها ما تصنع وما تشعر ... وتدخر دون علمه المال ... وتراوغ وتكذب!!

كلمة في أذن الرجل:

إن تأكيد حبك لزوجتك باستمرار وتفهمك لها وإسباغ الرعاية والاهتمام والإحترام من قبلك لها هي الروافد الهامة والضرورية لتغذية الروابط العاطفية بينك وبينها، واشعارها بالأمان اللازم لراحتها النفسية.

ولقد حفظ لنا تراثنا الإسلامي العربي البديع نصائح أم لابنتها ليلة زفافها، ما يبين أن المرأة منذ القدم كانت مدركة بالاحتياجات العاطفية للرجال والنساء، ملمة بواجبات الزوجة، عالمة بطبائع الرجال، خبيرة بنفوسهم. وأرادت هذه الأم الحكيمة - وتدعى أمامة بنت الحارث - أن تورث هذا الإدراك والإلمام والعلم والخبرة لابنتها أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني عند زفافها بعمرو بن حجر ملك كنده، فأوصتها وصيتها الرائعة البليغة قائلة لها:

- أي بنية ... إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة وحسب، لتركت ذلك منك، ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل.
- أي بنية ... إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خلق النساء ولهن خلق الرجال.
- أي بنية ... إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خلالاً عشراً، تكن لك دركاً وذكراً:

فأما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة، فإن القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حشمه (أقربائه) وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

- واتقي الفرح عنده إن كان ترحاً (حزيناً)، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير.
- وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً.
- وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة.
- واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك.

كما أن أشعار العرب ضمت الكثير مما يروي الظمأ في ذكر صفات الزوجة الكريمة التي بها تقر عين الزوج و يسعد الأبناء، منها قول الشاعر:

وزوجة المرء عون يستعين بها ... على الحياة ونور في دياجيها
مسلاة فكرته إن بات في كدر ... مدت له لتواسيه أياديها
في الحزن فرحته تحنو فتجعله ... ينسى بذلك آلاماً يعانيها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة ... تدبر الدار تدبيراً ينجيها
تعامل الزوج في أحوال عسرته ... وفي اليسار بما في النفس يشفيها
والزوج يدأب في تحصيل عيشته ... دأباً ويجهد منه النفس يشقيها

إن عـاد للبيـت يلقـى ثغـر زوجتـه ... يفـتر عمـا يـسر الـنفس يحييهـا
هـذي القرينـة هـذي مـن تحـن لهـا ... نفـس الأبـي ولكـن أيـن نلقيهـا
وزوجهـا ملـك والـدار مملكـة ... والصفو والسعد يجري في نواحيها

وذاك أبو الأسود يعلم زوجته بعض ما يحبه وما يكرهه قائلاً لها:

خذي العفـو مـني تـستديمي مـودتي ... ولا تنطقـي في سـورتي حـين أغـضب
ولا تنقـريني نقـرك الـدف مـرة ... فإنـك لا تـدرين كيـف المُغَيَّـبُ
ولا تكثـري الـشكوى فتـذهب بـالهوى ... ويأبـاك قلـبي والقلـوب تقلـب
فـإني رأيـت الحـب في القلـب والأذى ... إذا اجتمعـا لم يلبـث الحـب يـذهب

إن الإخفاق الذي يصيب الزوجين في مساندة ودعم كل منهما للآخر عاطفياً إنما يأتي في المقام الأول من عدم فهم الاحتياجات العاطفية للطرف الآخر. ولذلك كثيراً ما نجد المرأة تشتكي من زوجها لأنها أعطته كل شيء ولم تأخذ منه شيء، وكذلك الرجل أيضاً يردد نفس الشكوى. والحقيقة الغائبة تكمن في أن كلاً من الزوجين محق في قوله ... كلاً من الزوجين يبذل ما يستطيع بذله لإسعاد الطرف الآخر ... ولكن ... الذي يُبذل ليس دائما من احتياجات شريك الحياة... الذي يُبذل يكون غالباً من احتياجات باذله.

... إنه يعطيها احتياجاته هو ... ولا يعطيها احتياجاتها هي!!...

... وأنها تعطيه احتياجاتها هي ... ولا تعطيه احتياجاته هو!!...

... كِلا الزوجين ظن أنه أعطى ما هو مطلوب منه ... بينما الحقيقة أن كلاً منهما لم يعط شيئاً مما عليه ... وبالتالي لم يأخذ شيئاً مما له.

.... كلاهما ساء فهمه ... فخاب عطاؤه ... وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

وقد تفعل المرأة ما يجب عليها فعله في تلبية احتياجات زوجها العاطفية ... والرجل كذلك قد يفعل ما يجب عليه في هذا الأمر نحو زوجته ... ولكن ... قد يشعر أحدهما أن الطرف الآخر لم يتغير، أو أن استجابته بطيئة وليست بالقدر المناسب، وأن الثمرة المرجوة لازالت مرة ولم تنضج بعد ... رغم ما بذل من جهود كبيرة مضنية ... فما عليها (أو عليه) إلا مزيد عمل بلا كلل ... ومزيد صبر بلا ملل ... ولا سبيل آخر سوى ذلك ... فطول الأمد لا يقطع الأمل.

إنـــي رأيـــت، وللأيـــام تجربـــة — للـــصبر عاقبـــة محمـــودة الأثـــر

وقـــل مـــن جـــد في أمـــر يطالبـــه — واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

رابع وعشرون: في الانجذاب العاطفي:

إن انجذاب الرجل للمرأة يبدأ بالانتباه لجمالها أولاً. وتخطئ المرأة إذا اعتقدت أن جمالها وحده هو الذي يجعل الرجل العاقل يود الارتباط بها والزواج منها ... صحيح هو بداية للفت انتباه الرجل إليها، ولكنه بعد إعجابه بجمالها يتجه إلى التعرف على دينها وحسبها... على إسلوب تفكيرها وعقلها ... على طباعها وأخلاقها ... على شخصيتها وعلاقاتها ... حتى إذا اطمئن قلبه وعقله لها ـ أحبها. كما تخطئ المرأة أيضاً إذا ظنت أن سعيها وراء رجل ومطاردتها له، أنها بذلك ستناله زوجاً ... إنها لا تعلم أن الرجل السوي يحب أن يسعى إلى المرأة ويزهد في التي تسعى وراءه، حتى وإن نجحت في سعيها واستطاعت أن تناله فستكون قد فقدت الكثير والكثير ... مما ستثبته لها الأيام.

يرنو الحب من قلب المرأة بالكلمات الرومانسية اللطيفة، والمواقف الرقيقة الحانية، والهدايا المتتالية المتعاقبة. إنها ترى أن هذه الأمور هي رسائل حب رائعة تشعرها برغبة الرجل فيها، فتضخ الدماء في شرايين الحب باعثة فيها الحياة والنماء. ثم تبدأ المرأة في بذل المحاولات للتعرف على شخصية الرجل وإسلوبه من خلال سماعها لحديثه ورؤيتها لأفعاله وتقييمها لهيئته العامة وعلاقاته بالآخرين،

حتى إذا ما وقر في قلبها الاطمئنان له وملأها الشعور بشدة رغبته فيها ... أحبته. فلا غرو إذن من أن المراهقات والفتيات الصغيرات يعجبن كثيراً بذلك المطرب الذي يصب في آذانهن أغانيه التي تحوي كلمات الحب الرقيقة، بل قد تصل الدرجة إلى أن أكثرهن يتمنين الزواج منه !! ... مع ملاحظة أن العكس غير وارد، فالرجال ـ بفطرتهم وبشكل يكاد يكون قطعياً ـ لا يتهافتون ألبته على الزواج من مطربة تشدو بكلمات الحب أغنية.

خامس وعشرون: في التعبير عن الحب:

إن الحب إذا كان موجوداً بين الزوجين وأردناه أن يظل بينهما نابضاً حياً فهو ... كأي كائن حي ... يحتاج إلى تغذية دائمة كي يعيش وينمو، وإلى تطبيب فوري حال مرضه كي يصح ويصفو. إن العلاقة الزوجية لكي تظل متينة ومتسمة بالروعة والتفاهم والحب والانسجام لابد وأن تتضافر جهود الرجل وزوجته معاً للإبقاء عليها وإنمائها والإرتقاء بها فلا تزيدها الأيام إلا دفئاً وحناناً... حسناً وبهاءً ... عمقاً ورسوخاً.

إن المرأة بطبيعتها الأنثوية تعرف قيمة بذل الجهد لتوطيد علاقة الحب هذه، أما الرجل فلا يقدر قيمة بذل الجهد في هذا الشأن. إنه يبذل فقط والعلاقة في طور التكوين والإنشاء ... إنه يبذل فقط عندما يؤدي دور الخاطب ... فإذا ما تأكدت لديه قوة العلاقة وترسخها، شعر أنه ليس من الضروري التأكيد عليها باستمرار طالما هي موجودة!!... الأمر الذي لا يلائم المرأة ولا يصلح معها بأي حال من الأحوال.

الرجل ـ عادة ـ ما يعبر عن الحب في صورة عمل وليس في صورة عاطفة ومشاعر. فمن أقوى الأساليب التي يعبر بها الرجل عن حبه لزوجته ـ في تصوره ـ هو سعيه الدؤوب في عمله، وحرصه الشديد على الارتقاء فيه، ليصبح فخراً لأسرته، وليجلب لهم المال اللازم لإسعادهم. وهو لا يرى أدنى ضرورة لأي شكل من أشكال التأكيد اللفظي على حبه لزوجته، طالما أنه يقوم بدعمها مادياً

وعملياً، وإنه إذا ما تم إرضاؤها مرة وجب عليها أن تبقى راضية للأبد!! ... لأن حبه لها موجود ولا يحتاج إلى تعبير مستمر عنه!! بل لقد تجاوز الكثيرون من الأزواج هذا الأمر إلى الحد الذي يتصورون فيه أن التعبيرات والإيماءات التي تهمس بالحب تصبح مع الوقت تقليدية وليست ضرورية وغير ذات قيمة!!.

نعم ... قد يحب الرجل زوجته ويخاف عليها ويشعر أنه لا قيمة لحياته بدونها، ولكنه لا يفهم أن كل ذلك لا يكفي إذا لم يترجمه إلى مشاعر وأحاسيس وكلمات رقراقة متواصلة الانسكاب تغذي حاجة زوجته الدائمة للتأكيد اللفظي على حبه لها باستمرار. **هذه هي الحاجة الملحة المتجددة المتواصلة** للمرأة مهما كان عمرها ومركزها ومستواها ... إنها حاجة المرأة التي لا يهمل الرجل شيئاً مثلها ... إنها التأكيد على حبه لها باستمرار.

مثـال:

هو: أنا موفر لكِ بيت جميل، واشتريت لكِ سيارة، وأعمل ليلاً ونهاراً لإسعادكِ.

هي: أريدك أن تقول لي إني أحبك.

... وماذا عن المرأة؟ ...

تعبر المرأة عن الحب في صورة مشاعر حانية وكلمات رقيقة واستكانة ناعمة وتقديم هدايا ... في صورة بذل وعطاء وتضحية من ذاتها ووقتها وعاطفتها ... في صورة غيرة شديدة وحب تملك جارف واستحواذ واضح ... في صورة تنقيب عما يسعد زوجها ويرضيه لتفعله بإخلاص وتؤديه بإتقان.

وإذا تجاهل الرجل زوجته أو ابتعد عنها بصورة مؤقتة فسوف تشعر بأن حبه لها آخذ في النقصان، وتقل تبعا لذلك ثقتها بنفسها، وتبدأ بالشك في كفاءتها، ثم يستحوذ عليها شعور بعدم الأمان، فتنتقل هذا الوضع، حينها تشرع في ملاحقة زوجها وتوجيه اللوم له وبأنه لم يعد يحبها، وتبدأ بطلب صور

الحب منه وتلح في طلبها حتى يبدو وكأنها تستجديها منه لتطمئن نفسها عاطفياً. ولذا يجب على الرجل ألا يدفع زوجته ـ بأدائه العاطفي المبتسر ـ لتتسول منه كلمات حب رقيقة ولحظات رومانسية عميقة ... فالخطأ هنا ليس كله منها، ولكن الزوج مشارك فيه أيضاً... وربما بقدر كبير.

من التصورات الخطأ التي شاعت وتجذرت في مجتماعتنا الشرقية هو أن إفصاح أحد الزوجين عن حبه للآخر قد يعد دليلاً على ضعفه، ولا يؤدي إلا إلى إزهاق الكرامة وذبح الكبرياء..!! لو كان الأمر كذلك ما قدم النبي ﷺ نموذجاً رائعاً في إظهار حبه لزوجاته. فعندما سأله عمرو بن العاص ﷺ عن أحب الناس إليه ظناً منه أنه هو أحب الناس إليه، فإذا بالمصطفى ﷺ يجيب: عائشة ... هكذا وببساطة وأمام الناس. كما كان ﷺ يقرأ القرآن في حجر زوجته الحبيبة عائشة (رضي الله عنها) وهي حائض، ويتلمس موضع شفاها في الكوب ليشرب منه بعدها، ويلعق أصابعها بعد الأكل، ويغتسل معها في إناء واحد، ويسابقها فتسبقه تارة ويسبقها أخرى، وتشب على كتفه لترى لعب الأحباش بالمسجد، ويدللها قائلاً: يا عائش ..... وتلك زوجته صفية (رضي الله عنها) عندما أتته وهو معتكف بالمسجد لتحضر له طعاماً، فلم يتركها تعود وحدها، بل قطع معتكفه وعبادته ... إلى عبادة أخرى ... إلى توصيلها لبيتها ... ليزيد من أنسها به.

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ...

لم تمنعك عبادتك الخالصة ولا مخالطتك للناس المضنية ولا أعباء الدعوة الثقيلة ولا منافحة المشركين القاسية ولا جهاد الأعداء المرير من أن تفصح عن حبك وعاطفتك ومشاعرك لزوجاتك ... وأنت من أنت ... صلى الله عليك وسلم.

كما لا يفوتني ذكر أمثلة من الصحابة الكرام ﷺ الذين نقلهم الإسلام من حضيض بدو غلاظ أجلاف إلى قمم علماء فضلاء أعراف. فذاك علي ﷺ عندما دخل على زوجته السيدة فاطمة (رضي الله عنها) وهي تنظف أسنانها

بالسواك (جذر نبات الأراك) لم يخف حبه لها وغيرته الشديدة عليها، فأنشد يقول:

حظيت يا عود الأراك بثغرها ... ألا خفت يا عود الأراك أراك
لو كنت من أهل القتال قتلتك ... ما نجا مني يا سواك سواك

وهنا يجدر التنويه على أمر هام ...

لقد أجازت الشريعة الإسلامية الكذب بين الأزواج في المشاعر والعواطف فقط بحيث لا يتناول الكذب أموراً آخرى. فعن أم كلثوم بنت عقبة (رضي الله عنها) **قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ رخص في شيئ من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها.** (رواه البخاري).

إن ذلك ليس كذباً يفضي إلى عدم الثقة وإثارة الشك وزرع الريبة، ولكنه كذب يعين على بناء الحياة الزوجية ووائد لمشاكلها ومساعد على استقرارها. ولتوضيح هذا النمط من الكذب تخيل معي التالي: رجل يمتدح زوجته ويذكر جمالها ومحاسنها ولطفها ورقتها وعذوبتها ـ حتى ولو لم تكن على هذا المستوى ـ أليس ذلك مما يشعرها بحبه لها؟ ... أليس ذلك يجلب لها الرضى والسعادة ويدفعها إلى التفاني في راحته وبذل المزيد من الجهد لخدمته؟ ... وبالمثل عندما تقوم الزوجة بمدح زوجها وتذكر حسن معاملته لها، وتوفيقه في رعاية بيته وأسرته. وأنه ذو شخصية قوية وجذابة، وأنه مفخرة لها ولأولادها ـ رغم أنه في الحقيقة قد لا يرقى لهذا المستوي ـ أليس ذلك يشعره بالقبول والتقدير والتشجيع ... فيحبها ... ويجتهد أكثر في تحسين أدائه العاطفي والعملي معها ... أليس هذا يقربنا من المستوى المنشود للحرارة العاطفية بين الزوجين؟ ... إنَّ هذا نتاج استخدام الكذب في المشاعر والعواطف والمرخص به من قبل الشريعة الإسلامية الغراء.

ولنا هنا مع التعبير عن الحب وقفة ضرورية ... قد نخرج فيها عن السياق قليلاً ... ولكنها وقفة هامة جديرة بالتأمل والتفكر ... حرية بالمراجعة والتدبر ... لاستجلاء أمور هامة ... وخطيرة.

إن الحب الذي يستبد بالفتاة تجاه شاب ما ليس بجريمة نكراء ينبغي أن تحاسب عليها الفتاة وتجلد ... ولكن الجريمة تكون دوماً في إسلوب وطريقة التعبير عن هذا الحب ... كيف ذلك؟

إن الرجل يختار شريكة حياته بعد مروره بمرحلة التنقيب ببصره وقلبه وعقله بين النساء، والمرأة - على لسان وليها - تقبل أو ترفض من يتقدم لخطبتها، وهي في بيتها بعليائها وعزتها... محفوظة مكرمة.

... هذا ما يحدث عند ذوي الفطرة السوية ...

ولكن ما نراه في وقتنا الحاضر على بعضهن من تبجح صارخ في إظهار مشاعرهن وعواطفهن بطريقة مبتذلة يعد خروجاً على إطار الفطرة السوية ... يعد خروجاً عن آداب الدين وقيمه. لقد توهمت الفتيات أنهن على صواب عندما يتعرضن للشباب ويسعين لمصاحبتهم، تحت أي دعوى، وبشتى وسائل التعرض والمصاحبة، التي تنتهك خلالها أستار الحياء، وتجلب لهن - وللشباب أيضا - الإزدراء والمهانة. لم تعرف الفتيات أن الشباب يسعد كثيراً باللهو معهن وبهن، ولكن الشاب منهم حين يعزم على الزواج عزماً جاداً، سيتخير من الفتيات التي لم يسبق اللهو معها وبها ... هذه فطرة الرجل التي قد لاتعرفها الفتاة جيداً.

إن الفتاة التي أحبت - وليس في هذا إثم - وتريد لحبها أن يكون وفق مرضاة الله بأن ينتهي بزواج مبارك أو حتى بفراق مبارك، عليها أن تطلع ولي أمرها - بطريقة ما، مباشرة أو غير مباشرة - على من تحرك له قلبها ... وعلى ولي الأمر حينئذ التصرف بإسلوب يحفظ للبنت حياءها وإنسانيتها وأنوثتها وعزتها وكرامتها، ويعمل على تحقيق امنيتها ممن تحب إن توافرت به الشروط المناسبة.

ولنا في الحوارات الكريمة الراقية التي تمت بين الشيخ الكبير صاحب موسي عليه السلام وابنته، وبين موسى عليه السلام والشيخ الكبير، والتي خُلدت في كتاب الله الدرس العظيم، حين قال المولى عز وجل في محكم آياته ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (القصص ٢٦- ٢٧). لقد لمس الشيخ الكبير من إحدى ابنتيه ميلاً لموسى عليه السلام كما لمس في موسي عليه السلام صفات كريمة تزكيه لأن يكون زوجاً صالحاً لابنته .

... لم يُعرض الأب الحنون عن ابنته ويتجاهل مشاعرها وأحاسيسها ...

... ولم يلمها الأب الحكيم على انجذابها العاطفي نحو القوي الأمين ...

... ولم يتركها الأب الرجل تبتذل مع من أحبته حتى توقعه بشطارتها في شباكها ...

... ولم يهمل الأب العاقل فحص صفات الرجل الذي رغبته ابنته زوجاً لها ...

... بل عرض عليه زواجه منها ـ حين اطمأن قلبه وعقله له ـ بلا خجل أو حرج أو تردد ...

... فقبل موسى عليه السلام العرض الكريم من الشيخ الكبير بكل تقدير واحترام وتبجيل ...

... بمثل هذه الحكمة والعقل والحنان والرجولة يكون تصرف الأب ...

... وبمثل هذه الطهارة والصراحة والعفاف يكون تصرف البنت ...

... وبمثل هذه الشهامة والمروءة يكون تصرف العريس ...

... وبمثل هذه الوضاءة والبساطة تبنى البيوت وتعمر ...

... وبمثل هذه الشفافية واليسر تقام الأسر وتستمر.

لقد خضعت بيئات كثيرة لتقاليد باطلة سخيفة تمنع الوالد أو ولي الأمر من أن يعرض ابنته أو أخته أو قريبته لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته. وحتمت هذه التقاليد الباطلة السخيفة أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يجب أن يتقدم للخطبة، وأنه لا يليق ألبته أن يجيئ عرض الزواج من الجانب الذي فيه المرأة. ومن المفارقات أن مثل هذه البيئات المنتشر بها هذه التقاليد الباطلة السخيفة يكثر بها اختلاط الفتيان بالفتيات ... يتحدثون ويندمجون ... يلتحمون وينصهرون ... حتى في غير ما نية خطبة ولا غرض زواج.

... أي الصورتين خير وأبقى؟ وأيهما أطهر وأنقى؟

إن من أسباب توالد وانتشار التصورات المنحرفة عن كيفية نشوء العلاقة بين الرجل والمرأة وتطورها بطريقتها الهابطة المحرمة يعود إلى أجهزة الإعلام ونظم التعليم وأدوات الثقافة التي بثت سموماً، فدخلت قلوباً حظها من الإيمان قليل، واخترقت عقولاً نصيبها من العلم يسير، وغزت جوارح قدرتها على المقاومة ضعيف، فأضلت شباباً كثيراً وفتيات، وانحرفت بهم وبهن عن طريق الفطرة القويم. وما تشهده ساحات المحاكم من أرتال قضايا أسرية، وما نراه من ارتفاع مريع لنسب الطلاق، وما نسمع عنه من ركامات مشاكل تعشش في أسر مفككة، وتأخر في سن الزواج، إلا إفرازات طبيعية لتوالد وانتشار مثل هذه التصورات المنحرفة القاتمة التي شُيدت عليها أطلال أسر شوهاء ... على أكتاف أشباه أمهات وآباء ... وضحايا كثر من بقايا أبناء ... فاسودت بهم جميعاً حياتنا الاجتماعية.

نعم ... إنه وقت دفع ثمن حيودنا عن فطرتنا ... من راحتنا وهناء بالنا ... من صحتنا وأعمارنا ... من دنيانا وديننا ... وياله من ثمن.

سادس وعشرون: **في الغيرة الزوجية**:

إن الغيرة الطبيعية بين الزوجين غريزة فطرية جبل عليها الإنسان السوي ليحافظ بها على كيان أسرته، وضرب من الدفاع عن حماها. إنها شعور مركب

تختلط فيه مكونات لينة ناعمة من مراعاة للمشاعر واحترام متبادل وتقدير صادق مع مكونات أخرى قاسية خشنة من تحدي وقوة وحزم وعنف وبغض وكره. والغيرة شعور خاص لا يمكن بذله إلا لأجل إنسان له مكانة مميزة، ولذلك تجده يكبر ويعظم كلما كبرت مكانة المُغار عليه وعظمت. وبقدر ما ظاهر الغيرة إزعاج وتوتر، بقدر ما تبث من سرور خفي وغبطة داخلية، ذلك لأنها تغذي شعوراً بالرضى والقيمة النفيسة لدي شريك الحياة.

تنبع غيرة الرجل من فطرته السوية التي تأبه أن يشاركه أحد في زوجته أيا كان نوع وحجم هذه المشاركة، بصرف النظر عن جمالها أو جاهها أو حسبها أو نسبها ... تنبع من اعتزازه برجولته ودينه وقيمه وأخلاقه ... تنبع من شممه وإبائه وعزته وكرامته ... تنبع من إحساسه بدوره ومسؤوليته ... تنبع من حرصه على زوجته وحبه لها وتقديره إياها وشعوره أنها تمثل لديه قيمة ثمينة جديرة بالحفاظ عليها وحمايتها ... تنبع من حرصه على استقرار واستمرار حياته الزوجية والأسرية. وقد تتوغل غيرة الرجل لتشمل ما يختلج في نفس زوجته من خواطر وأمنيات. وتمتاز غيرة الرجل بأنها عاقلة متزنة ولكنها في ذات الوقت قوية عميقة، وقد تفضي في أحوال نادرة - وخاصة في الشرق - إلى القتل وإزهاق الأرواح.

تنطلق غيرة المرأة من خوفها من إهتزاز كيانها كأنثى، ومن حبها لزوجها واستحواذها عليه وخوفاً من تفلته من بين يديها، وحرصها على بيتها وأسرتها. وتثور غيرة المرأة لأمور عديدة وأسباب كثيرة، قد يظن أغلب الرجال أنها تافهه وغير منطقية، لكنها لدى المرآه تعني الشيئ الكثير. والمرأة حين تنتابها الغيرة لا تفكر كثيراً بعقلها كما أنها لا تستطيع كتمان غيرتها، ولذا تبدو المرأة - ظاهرياً - أكثر غيرة من الرجل، ولكنها في نفس الوقت ليست بقوة وعمق وفاعلية غيرة الرجل.

وحتى يتبين الفارق بين قوة وعمق وفاعلية الغيرة الفطرية عند كل من الرجل والمرأة، نجد من واقع الحياة أن المرأة لها القدرة على استيعاب الرضوخ –

أو الرضى ... عندما يعدد زوجها زوجاته ... ترضخ ـ أحياناً ـ عندما تكون هي الزوجة الأولى ... وترضى ـ دائماً ـ إذا كانت هي الزوجة الثانية ... بينما لا يرضخ الرجل أو يرضى على الإطلاق أن يشاركه أحد في زوجته أيا كان ... وبأي حال من الأحوال ... فذلك أمر دونه الموت.

... الرجل حينما يغير، يفقد القدرة على حسن التصرف ...
... والمرأة حينما تغير، تفقد القدرة على التفكير ....

وقد أعلى الإسلام قدر الغيرة الزوجية وأشاد بذكرها، ورفع شأنها حتى عد الدفاع عن العرض والغيرة على النساء جهاداً يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس، ويجازى فاعله بأجر شهيد، وليس للشهيد في الآخرة أجراً إلا الجنة. فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**". (رواه أبو داود والترمذي)

ولقد رأينا خلق الغيرة يستقر في نفوس العرب قبيل الإسلام، فلقد كانوا يغارون على أعراض جيرانهم حتى من هوى أنفسهم، فهذا عنترة بن شداد قال مفاخراً بنفسه:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

وذاك القحطاني حيث قال في نونيته الرائعة:

إن الرجال الناظرين إلى النساء ... مثل الكلاب تطوف باللحمانِ
إن لم تصن تلك اللحومَ أسودُها ... أُكِلت بلا عوضٍ ولا أثمانِ

وكم أشعلت الغيرة على امرأة فتيل حرب، حمية لشرفها، واستجابة لاستغاثتها، فقد تدافع العرب يوم الفجار، حين راود شباب من كنانة امرأة في سوق عكاظ لتسفر عن وجهها، فأبت، فأخذوا يسخرون منها، فنادت: يا آل عامر، فلبت نداءها سيوف بني عامر، ووقفت كنانة تدرأ عن فتيانها، وهاجت هوازن لبني عامر، وثارت قريش لكنانة، فتفجرت الدماء، وتناثرت الأشلاء ... نعم ... تفجرت الدماء وتناثرت الآشلاء ... من أجل الغيرة على امرأة ... هذا قبيل الإسلام ...

... وبعد الإسلام ... أخضع رسول الله ﷺ بني قينقاع لسيطرة المسلمين بسبب الغيرة على شرف امرأة ... كانت قد قدمت بجلب لها (كل ما يجلب إلي السوق ليباع فيها) فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ يهودي بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها. فلما قامت انكشفت سوءتها. فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه. كما فتحت "عمورية" في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله بسبب أيضاً الغيرة على شرف امرأة.

ولكم أعلت الغيرة شأن المرأة وعبرت بصدق وبطريقة عملية عن سمو مكانتها وعظيم قدسيتها ... هكذا أثبت التاريخ. ويا لهف قلبي على النساء اللائي يعشن في بلاد لا تُعرف للغيرة عليهن سبيلا، ولا تجد بها لنخوة الرجال دليلا.

سابع وعشرون: **في الاحتياج للعلاقة الجنسية وآلياتها:**

رغم محورية دور العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته وعميق أثرها في استقرار حياتهم الزوجية، إلا أن الكثيرين قد يتحاشون الخوض فيها، إما لتقاليد موروثة يجانبها الصواب كثيراً أو لاعتبارات تربوية حادت عن الصحة

بعيداً، أو يغالون في التعبير عنها بطريقة تخرج بها عن الجادة. وإنه بالإسلوب الديني العلمي الصحيح، يمكن جلاء الكثير من الأمور الهامة التي ينبغي أن يلم بها كل من الرجل والمرأة قبل وأثناء وبعد المباشرة الجنسية.

أولاً: قبل المباشرة الجنسية:

(١) الرغبة الجنسية لدى الرجل تماثل رغبة المرأة الجنسية تماما، وليس صحيحاً - باستثناء بعض الحالات القليلة - أن أحدهما ذو رغبة جنسية أكثر جماحاً من الآخر. كما أن المرأة تتعرض في أثناء حياتها لفترات الدورة الشهرية وشهور الحمل، والتي قد تظهر فيها أحياناً عزوفاً عن إرواء حاجتها الجنسية.

(٢) يشغل الجنس حيزاً في تفكير الرجل أكبر بوضوح من ذات الحيز الذي يشغله في تفكير المرأة.

(٣) إن فكرة تعددية العلاقات الجنسية تلح على عقل أغلب الرجال، فإذا لم يتم كبحها بطاعة الله والتصبر والمجاهدة والقناعة لحدث فساد كبير. أما المرأة السوية فلا تعاني من وجود هذه الفكرة بعقلها أصلاً، وإن كان هناك عدد ضئيل من النساء يملن لها.

(٤) إنه الإلحاح الجسدي ذلك الذي يقف وراء شعور الرجل برغبته في ممارسة الجنس. فالممارسة الجنسية بالنسبة للرجل تساعده على التحرر من الضغوط اليومية المتراكمة والتخلص من القلق وتوتر الأعصاب فيصبح أكثر هدوءاً وسكوناً، ومن هنا كان الاحتياج لممارسة الجنس بالنسبة للرجل هو احتياج جسدي بيولوجي بالدرجة الأولى. أما المرأة فلا تضع الجنس في اعتبارها إن تعرضت لضغوط أو قلق أو توتر أعصاب، لأن ممارستة عندها لا تعدو مجرد كونها نتيجة للحب،ولذلك فهي لا تقيم علاقة جنسية إلا بالحب ومع من تشعر أنه يرغبها، لأن احتياجها لممارسة

الجنس احتياج عاطفي بالدرجة الأولى. ولذلك ترى المرأة ـ عادة ـ تتطلع إلى الحصول على مشاعر الحب من زوجها أولاً حتى يتملكها الشعور بأنه يرغبها، ثم تندمج بعدها في الممارسة الجنسية. وربما يرجع أصل القول الشائع "يتمنعن وهن الراغبات" إلى سلوك المرأة قبيل المباشرة الجنسية والذي يدل على حاجتها الملحة للشعور بأنها مرغوبة.

(٥) الرجل أسرع استجابة لنداء الجنس من المرأة، لأن رغبة الرجل في ممارسة الجنس تكاد تكون جاهزة ولا تتطلب الكثير من الجهد لاستدعائها، بينما رغبة المرأة في ممارسة الجنس تحتاج لبعض الجهد من قبل الرجل حتى تصبح جاهزة ... أي أنها تحتاج لشيء من المداعبة والملاعبة لاستجلابها.

(٦) إن إسلوب طلب الممارسة الجنسية الفطري لدى الرجل يختلف عن ذات الإسلوب لدى المرأة. فتزين المرأة لزوجها وتصنعها له قد يدل على رغبتها في معاشرته جنسياً. إنها بذلك تستخدم النظر لاستثارته جنسياً، لأن الرجل بصري واستثارته الجنسية تبدأ بالنظر. وبالمقابل همسات الرجل ومداعبته لزوجته بلمس المواطن الحساسة من جسدها دليل على أنه يطلبها لفراشه. إنه يستخدم الهمس واللمس لاستثارتها جنسياً، ذلك لأن المرأة سمعية واستثارتها الجنسية تبدأ بالهمس واللمس. ولذلك يمكن القول بأن دور المرأة الفطري في طلب الممارسة الجنسية ينحصر في تحريكها لإرادة الرجل نحو الفعل، لأنها تملك **الإرادة المحركة**، بينما دور الرجل الفطري في طلب الممارسة الجنسية يكون بالفعل، لأنه يملك **الإرادة الفاعلة**.

ثانياً: أثناء المباشرة الجنسية:

(١) لدى أهل الشرق ـ بالذات ـ إرث تاريخي مفاده أن الرجل هو المسئول الأول والأخير عن أداء العملية الجنسية كما ينبغي، وعليه فقط يتوقف نجاحها أو فشلها، وأن ليس للمرأة دور في هذا الأداء!!... وهو لا شك إعتقاد جانبه

الصواب كثيراً. في الحقيقة أن لكل من الرجل والمرأة دور إيجابي في آليات العملية الجنسية، صحيح أن دور الرجل محوري، ولكن للمرأة أيضاً دور حيوي. وأحب هنا أن أسجل ما عرضه القاضي والتربوي القدير الأستاذ: جاسم المطوع في موقعه على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) عندما تعرض لشرح قول النبي ﷺ لجابر بن عبد الله ﷺ في حديث رواة البخاري: "**فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك**". وفي رواية "**تداعبها وتداعبك**". يقول الأستاذ جاسم: "لعل اللفظ الأول وهو "**تلاعبها**" لم يستوقفني، لأن الرجل من طبيعته المبادرة والتجديد في العلاقة الزوجية، ولكن الذي استوقفني هو كلمة "**تلاعبك**" أي بنفس مستوى الرجل من الإقبال والتشويق والإغراء، ولعل هذا النص يتعارض مع واقعنا المعاصر وما نعيشه من تخلف في ثقافة العلاقة الزوجية".

(٢) استجابة الرجل السريعة للجنس قد تتسبب في سرعة قذفه لمنيه . وخاصة إن كانت تنقصه الخبرة . الأمر الذي يزعج المرأة كثيراً، فتوصم زوجها بالأنانية ... ورغباته بالدونية ... وأنه لا يفهم ولا يراعي ... وهذه نظرة ليست بالكلية صائبة ... فالعلاقة بالنسبة له جسدية، تتحكم بها الهرمونات وتتقلص فيها إرادته إلى درجة ما، خاصة عند نقصان الخبرة.

(٣) حرص الرجل أثناء الممارسة الجنسية لا ينحصر في إشباع رغباته وإرواء حاجاته الجنسية فقط، ولكنه يحرص كل الحرص أيضاً على إشباع رغبات زوجته وإرواء حاجاتها الجنسية، بغض النظر عن نجاحه في ذلك أو فشله.

(٤) قد يحدث ألا تصل المرأة أثناء الممارسة الجنسية إلى درجة الإشباع ... لأسباب عديدة ... قد يكون لزوجها دور في بعضها ... فلا بأس على الإطلاق أن يتحدث الرجل مع زوجته في هذا الشأن بغرض أدائه على وجهه السليم الرائع ... والمرأة اللبيبة سوف تتجاوب مع زوجها وتخبره بما ترغبه المرأة من زوجها على الفراش ... صحيح أن البيئة المحيطة والعرف السائد وطرق التربية التي تلقتها المرأة ... والرجل ... تحول كثيراً أو قليلاً دون ذلك، ولكن لا سبيل آخر.

... ثم ...

هل مناقشة ممارسة الجنس - فقط مناقشته - لتصويب الأداء تستلزم الحياء؟ أم أن الممارسة الفعلية للجنس هي الأولى بهذا الحياء؟

وهناك ملحوظة صغيرة ... كبيرة ... وهي أنه من أجل ألا يكون مصير تكاثر البشر بيد البشر، اقتضت حكمة الخالق ﷻ ألا يتوقف إنجاب النسل على كفاءة أداء العملية الجنسية وإتمام إشباعها لكل من الرجل والمرأة، وإلا كانت هناك أعداد ليست باليسيرة من البشر - والتي تنعم بالحياة على ظهر الأرض الآن - غير موجودة. وإنما إنجاب النسل يتوقف أساساً على إتمام قضاء الرجل لشهوته الجنسية وقذفه لمنيه ... الأمر الذي يأتي منه النسل. ولذلك ليس هناك من عجب في أن بعض النساء من الممكن أن يحملن ثم يلدن ويصبحن أمهات رغم أنهن لم يشعرن بالمتعة الكاملة للاتصال الجنسي.

ثالثا: بعد المباشرة الجنسية:

بعد فروغ الرجل من قضاء وطره من زوجته، كثيراً ما نراه يخلد إلى النوم من فوره أو قد ينهض ويبدأ في ممارسه بعض أعماله وأنشطته الحياتية ... لقد أشبع احتياج جسده، وانتهى الأمر بالنسبة له. إن ذلك قد لا يصلح مع بعض النساء، لأن احتياج المرأة لممارسة الجنس احتياج عاطفي في المقام الأول - كما سبق وعرفنا - فهي قد تحتاج من زوجها أن يمارس معها بعض العواطف بعد قضائها لوطرها منه ... خاصة إن كان احتياجها العاطفي قبل وأثناء الممارسة الجنسية لم يتم بعد إشباعه تماماً.

الفصل الثاني

الأحوال النفسية الخاصة بكل جنس

لأنهما مختلفان، فقد تفرد كل من الرجل والمرأة ببعض الأحوال النفسية الخاصة به، والتي لا تجدها في الآخر. ولا تعتبر هذه الأحوال النفسية حالات مرضية يجب أن تخضع لعلاج طبي أو نفسي للاستشفاء منها، ولكنها أحوال طبيعية يؤدي الجهل بها وعدم تفهمها إلى إساءة الظن ... التي يعقبها إساءة العمل ... ومن ثم حدوث جفوة، تمزق أوصال العشرة، و تزلزل بنيان الأسرة. ولذا كان من الأهمية بمكان الإلمام بها حتى تأخذ حظها من الفهم الصحيح والإدراك العميق، الذي يسلم إلى التعامل الصائب الحكيم معها، بغرض مرورها بسلام دون أن تخلف وراءها في النفوس جروحاً وآلاماً.

أولا: أحوال نفسية خاصة بالرجل

يصاب الرجل أثناء حياته بأحوال نفسية خاصة به كرجل، قد يصعب على زوجته التعرف عليها بسهولة، ومن هذه الأحوال:

(١) حالة الانسحاب والابتعاد:

يمر الرجل بدورة حب لزوجته، تتبادل فيها فترة دنو واقتراب من زوجته يعقبها فترة انسحاب وابتعاد عنها ... ثم تأتي بعد ذلك فترة دنو واقتراب منها مرة أخرى ... يعقبها فترة انسحاب وابتعاد عنها ثانية ... وهكذا. وسبب ذلك أن الرجل يشعر - ربما بدون أي مقدمات أو أسباب واضحة، وربما أيضاً هناك أسباب - بحاجته للبحث عن نفسه وذاته واستقلاليته فتخيم عليه ... رغماً عنه ... الرغبة في الانسحاب والابتعاد عن زوجته وأسرته، وأنه كما انسحب وابتعد عنها فجأة فسيعود إليها أيضاً فجأة. والمرأة لا تستوعب هذه الحالة التي تنتاب زوجها استيعاباً جيداً، والسبب أن الانسحاب والابتعاد عند المرأة يخضع لإرادتها

واختيارها ورغبتها ... وأنه يتم عندها ـ بعكس الرجل ـ بطريقة تدريجية كما أن عودتها من هذه الحالة تدريجي أيضاً ... إنها لا تفهم أن ذلك لا ينطبق على الرجل أبداً ... إنها لا تفهم أن الرجل لا يتمتع بأي سيطرة على هذه الحالة مثلما تتمتع هي.

وتعتبر هذه الحالة ـ على غرابتها بالنسبة للمرأة ـ صحية وذات فائدة واضحة للرجل وزوجته على السواء. فالرجل يعود لزوجته بعد أفول هذه الفترة من الانسحاب والابتعاد وهو ملئ بالعواطف مشحون بالحنين.

أما عندما تستحوذ على الرجل هذه الحالة ولكنه لا يتمكن من الاندماج معها والعيش فيها ـ بسبب مطاردة زوجته له أو أي سبب آخر ـ فسيفقد ذلك الشعور الفياض والشوق المتقد والرغبة الجامحة في زوجته، فتمسي الحياة بينهما باردة راتبة خالية من هذا الشعور وذاك الشوق وتلك الرغبة، وما أتعسها من حياة آنذاك.

و المرأة قد تسلك ـ دون فهم ـ نهجين أثناء وبعد هذه الحالة من الانسحاب والابتعاد يعيقا عودة المودة والألفة مع زوجها:

أولاهما: مطاردتها لزوجها عندما يود الابتعاد عنها لرغبتها في الحصول منه على مودة مستمرة ودائمة.

ثانيهما: رفضها لزوجها عندما يود العودة إليها بعد انقشاع هذه الفترة وكأنها تعاقبه لانسحابه وابتعاده.

(٢) المراهقة المتأخرة:

يصاب بعض الرجال، خاصة بعد تجاوزهم لسن الأربعين بحالة من فقدان الإتزان العاطفي!! ـ حالة تسمى بأزمة منتصف العمر أو بفترة المراهقة المتأخرة!!. تطفو هذه الفترة على سطح حياة بعض الرجال ربما كرد فعل لشعورهم بتقهقر شبابهم وبوقوفهم على شفير مرحلة الكهولة، مما يدفعهم لفعل تصرفات لا يقوم

بها إلا المراهقين، كمحاولتهم لفت أنظار الجنس الآخر، واهتمامهم بمظهرهم الخارجي بارتدائهم ملابس ذات ألوان لافتة للانتباه وصباغتهم للشعر ومزاولتهم لبعض التمارين الرياضية لتصبح أجسامهم متناسبة مع شبابهم..!!.. وبحثهم عن نوع من الرعاية عند غير الزوجات، واندماجهم في مشاهدة الفضائيات وما تحوي من الـ...... !!..أو مكثهم أمام الشبكة العنكبوتية لرؤية الـ...... !!.. وقد يصل الأمر إلى حد أن بعضهم قد يتورط في علاقات نسائية منفرة، لا تتفق مع دين ولا تتواءم مع عمر، ولا يكتب لها من النجاح والاستمرار في الغالب شيئاً، أو يسعون إلى زواج للمرة الثانية من فتيات صغيرات عمر ... كل ذلك لإثبات أنهم مازالوا في سني الشباب!!

لا شك أنها مرحلة حرجة جداً لكل من الزوج والزوجة. فالزوج الكهل يتقلد مظاهر الشباب ... وهو ليس منهم، والزوجة تصطدم بمشكلة عاطفية عاصفة، لم تحسب لها حساباً، تغزو حياتها بغتة، وتهدد كيان أسرتها.

إن أسباب المراهقة المتأخرة عديدة، تباينت فيها آراء العلماء، ولسنا هنا بصدد حصرها، ولكن ما يهمنا معرفته أن أنجع إسلوب يساعد على التخفيف من آثارها هو أن يتقي الرجل ربه، ويجاهد نفسه، ويغض بصره، لينال الأجر والثواب من رب الأرباب، وعليه أن يتذكر دوماً زوجته ورفيقة عمره بكل خير، وكيف صبرت معه وعليه، وأن إكرامها بعد طول عشرتها معه هي من تمام مروءته وعميق إخلاصه ... هذا دور الرجل.

أما دور المرأة الوقائي الذي ينبغي أن تلعبه قبل هبوب عاصفة هذه الفترة فينحصر في أن ترتبط بزوجها ارتباطاً قوياً ومنذ السنين الأولى للزواج، وعدم تجاهله والانشغال عنه بالانغماس في تربية الأولاد. أما دورها العلاجي الذي ينبغي عليها تأديته أثناء هذه المحنة هو أن تحاول تفهم نفسية زوجها في هذه السن، فتوليه اهتماما أكبر من ذي قبل، وأن تشاركه بعضاً من هواياته، وأن تلبي حاجته الملحة والمستمرة إلى مشاعر الحنان والحب، وأن تتلمس راحته، وأن تتغير

... لأن زوجها تغير ... أن تتغير ... لأن زوجها أمسى في حالة يبحث فيها عن التغيير ... أن تتغير في نظرتها لترتيب أولوياتها لكي تضع زوجها على رأس قائمة اهتماماتها ... أن تتغير في طريقة حديثها معه ... أن تتغير في اهتمامها بأناقتها وتجديد هيئتها بما يتناسب وعمرها.

وفي النهاية تثق بنفسها ... وبزوجها أيضاً ... تثق أنه مهما تلفت يميناً أو يساراً ... ومهما تشاغل عنها بغيرها قليلاً أو كثيراً، فسيعود أفضل مما ذهب، حاملاً رصيد تجربة به من المرارة ما به ... سيعود ليجدها في انتظار لحظة فيئه إلى صوابه وعقله ورشده ... سيعود ليجدها هي الحبيبة ... أم أولاده ... شريكة حياته ورفيقة عمره.

ثانيا: أحوال نفسية خاصة بالمرأة

يستعصى فهم المرأة على من لا يفهم صفاتها النفسية الخاصة بها. وإنه من الضرورة بمكان أن يتفهم الرجل هذه الصفات النفسية، ويستوعبها جيداً، ويدرك حكمة وجودها، حتى تزال أسباب الحيرة والعجب التي تنتابه من بعض تصرفات زوجته، ومن ثم يحسن التعامل معها على بصيرة وحكمة، فتؤدم الحياة بينهما تحت ظلال وارفة من الحب والمودة والرأفة.

و مما ينبغي أن نعلمه في البداية أن هذه الصفات النفسية الفطرية الخاصة بالمرأة قد لا تتمثل جميعها وبنفس الدرجة في كل النساء، بل تتجسد في غالبيتهن، وأن المرأة قد لا تملك كل هذه الصفات النفسية مجتمعة ولكن قد تحوز على أغلبها. وإنه كلما استحوذت المرأة على نصيب أوفر من هذه الصفات كانت غلبة صفات الأنوثة فيها أوضح وأعمق.

ومن أهم هذه الأحوال النفسية الخاصة بالمرأة الآتي:

(١) العاطفة الجياشة:

أودع الله في المرأة طبيعة تجيش بالعاطفة والحنان وتتسم بالرهافة والرقة وسرعة التأثر والاستثارة والبكاء. إنها طبيعة تتوافق مع دورها الفطري كابنة وزوجة وأم، لتواكب تلبية احتياجات كل من الأب والزوج والأبناء، والتي تستلزم قدراً كبيراً من التواصل العاطفي والوجداني.

ويكمن وراء هذه الطبيعة العاطفية للمرأة تراكيب جسدية وإفرازات هرمونية تجعل منها قوة قاهرة، قد لا تقوى المرأة ـ بسببها ـ على إخفاء مشاعرها في أغلب الأحيان. ولكنها في أحيان أخرى قليلة تجاهد لتسترها، بل وربما نجحت في إظهار مشاعر عكس مشاعرها الحقيقية. فالمرأة السوية ـ بطبيعتها الأنثوية ـ تركن إلى الانتظار، فلا تسمح لرغباتها ـ في الغالب ـ بالظهور الفج أو التعبير الصريح كما يفعل الرجل. فمثلا ... قد تحاول فتاة إخفاء حبها لشاب ما حتى لا تتورط في علاقات تسبب لها حرجاً شرعياً أو عرفياً ... أو قد تحاول امرأة إخفاء ضيقها بزوجها حتى تأمن غضبه ... كما أن من طبيعتها التمنع وهي راغبة.

(٢) الوضوح والتستر الجسدي:

على الرغم من أن المرأة قد تبدو غامضة في الجانب النفسي، إلا أنها شديدة الوضوح في الجانب الجسدي، وذلك للتالي:

(١) يسيل من المرأة منذ بلوغها دم الدورة الشهرية، الذي يتكرر حدوثه كل شهر مسبوقاً ومصحوباً ومتبوعاً بتغيرات جسدية ونفسية قد لا يكون من السهل إخفاؤها.

(٢) التغيرات الجسدية للفتاة عند بلوغها واضحة.

(٣) من الممكن معرفة المرأة إن كانت قد سبق لها الزواج أم لازالت عذراء.

(٤) يظهر الحمل واضحاً جلياً على المرأة.

(٥) ملازمة الأطفال للأم يعلن عن أمومتها بصراحة ووضوح.

وكرد فعل طبيعي لهذا الوضوح الجسدي، تميل المرأة السوية ـ بفطرتها ـ إلى التستر. ومن هنا يبدو لباس المرأة الإسلامي الشرعي ملبيا لهذا الاحتياج الفطري النفسي للتستر، أما التعري الذي تفلسفه وتمارسه بعض النساء (ويشجعه بعض الرجال أيضاً!!...) فإنه ليس ـ على وجه اليقين ـ صفة فطرية في المرأة السوية. ولذلك نستطيع القول بأن الحجاب حق أصيل للمرأة يحفظ كرامتها وإنسانيتها ... حق يحفظ عفافها وحياءها ... حق تدرأ به المفاسد والفتن ... حق تعبد به ربها وتتقرب إليه ... وليس كما ينفث بعضهم أن زمانه قد ولى، وأنه رمز للتخلف ورجوع للوراء. كما أن الرجل السوي غيور بفطرته فلا يطيق أن يشاركه أحد في أنثاه ولو حتى بالنظر. ومن هنا لبى لباس المرأة الإسلامي الشرعي مطلباً فطرياً لدى زوجها، كما لبى حاجة المرأة الفطرية للتستر من قبل.

إن إسلوب طلب الرجل للممارسة الجنسية يختلف تماما عن ذات الأسلوب لدى المرأة، فالمرأة تملك الإرادة المحركة والرجل يملك الإرادة الفاعلة ... هذا ما علمناه آنفاً. ومن هنا كان استخدام المرأة للإرادة المحركة للإثارة الجنسية لغير الزوج يعدل استخدام الرجل للإرادة الفاعلة للإثارة الجنسية لغير الزوجة ... عندئذ أصبح كلاً من الطرفين ـ الرجل والمرأة ـ في هذه الحالة يستخدم إرادته الفطرية في طلب ممارسة الجنس في غير الموضع الذي أحله الله ... عندئذ أصبح كلاهما مجرماً ... كلاهما آثماً ... وبناءاً على ذلك نستطيع القول ... وبلا أي تحفظ ... أن الرجل يصبح مجرماً آثماً إذا تحرك متحرشا بامرأة لا تحل له، وأن المرأة أيضاً تصبح مجرمة آثمة إذا تزينت وتصنعت لغير زوجها. أضف إلى ذلك أنه إذا كان التفكير في الجنس يستحوذ على مساحة كبيرة من عقل الرجل وأن إنجذابه الجنسي للمرأة يبدأ بالنظر ـ كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً ـ فما هي الطريقة التي نمنع بها ـ أو على الأقل نحد من ـ فتنة الرجال بالنساء ... نمنع بها ـ أو نحد من ـ تعكير صفو تفكير الرجل واشغاله بالكاسيات العاريات في كل موقع ومكان ... نمنع بها ـ أو نحد من ـ استخدام الرجال للإرادة الفاعلة للجنس بالحرام ... أهناك طريقة سوى أن تمتنع المرأة عن استخدامها للإرادة المحركة للجنس

بالحرام؟ ... وأن تكف عن تزينها وتكشفها لغير زوجها وأن تتوارى بالحجاب كما أمرها ربها؟

ويلازم صفة التستر صفة أخرى، قد تبدو متناقضة معها ظاهرياً ولكنها مكملة لها واقعياً، وهي صفة التظاهر والتزين. فالمرأة لا تكتفي بالتستر فقط ولكنها تميل إلى تزيين ظاهرها وتجميله. ومن هذا نفهم ولع المرأة الفطري ـ ومنذ نعومة أظافرها ـ بأدوات الزينة والتجميل واستعمال العطور، مصداقاً لقول الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف ١٨).

ولا يتنافى التزين مع التدين إذا كان في موضعه الكريم، والذي تثاب عليه المرأة، وهو قصره على الزوج. إن التزين واجب على المرأة لزوجها لا يسقط عنها مهما مضى من عمرها وعمره. وليس القصد من حض المرأة على التجمل لزوجها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرآة، وإنما القصد حثها على أن تهب للقاء زوجها وهي بأبهى مظاهرها من نظافة ثياب وطلاقة وجه وبسمة ثغر، لأنه ما من امرأة قابلت زوجها بهذه الطريقة إلا حازت في قلبه المكانة العالية والمنزلة السامقة، وعلى الرجل أيضاً مثل ذلك تماماً.

ففي تراثنا الإسلامي العربي الرائع، قال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة (يدها محمرة بالحناء)، وبيدها سبحة (بمعنى أنها جمعت بين التدين والتزين)، فقلت لها: ما أبعد هذا (يقصد التدين) من هذا (يقصد التزين)!!... فقالت لي:

ولله مــني جانـــب لا أضـــيعه ... وللـــهو مـــني والخلاعـــة جانـــب

قال الأصمعي: فعلمت أنها امرأة صالحة، لها زوج تتزين له.

بل حدث ذات يوم أن زارت امرأة قبر زوجها وهي في كامل زينتها!! ... فقال عنها الأصمعي: دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي، فإذا جارية تبكي عند قبر، وعليها من الحلي والحلل ما لم أر مثله، فالتفت إلى صاحبي وقلت له: هل رأيت أعجب من هذه؟ قال: لا والله، ولا أحسبني أراه. فقلت لها: يا هذه .. أراك حزينة، وما عليك زي الحزن (أي أنك لا ترتدين ملابس تدل على أنك حزينة)، فأنشدت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني	رهينة هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والتراب بيننا	كما كنت أستحييه حين يراني
أهابك إجلالاً وإن كنت في الثرى	مخافة يوم أن يسؤك لساني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي	بالاً، ويكثر في الدنيا مؤاساتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل	كأنني لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت تعرفه	أن قد تسر به من بعض هيئاتي
فمن رآني رأى عبري مولهة	عجيبة الزي تبكي بين أموات

والتظاهر لا يتوقف لدى المرأة عند المستوى الجسدي والمادي فقط، وإنما يمتد ليشمل المستوى النفسي أيضاً، متمثلاً في ميل المرأة أثناء حديثها إلى إظهار أفضل صورة عن نفسها بالتجمل في اختيار العبارات، والمبالغة في وصف الأحداث والمواقف، وأحياناً ... بالكذب أيضاً.

(٣) الجمع بين النقائض:

تستطيع المرأة - في نفس الآن - أن تجمع بين الضحك والبكاء، وبين اللذة والعناء، كما يمتزج عندها الحب بالبغض والرضا بالغضب. فعلى الرغم من شكوى المرأة من آلام الحمل وطلقات الولادة ومتاعب الرضاعة وتربية الأبناء، إلا

أنها في ذات الوقت تغمرها لذة عارمة أثناء قيامها بهذه الأدوار، وتدعو الله بصدق أن يكرمها بتكرار الحمل والولادة والإرضاع والتربية مرات عديدة. وتراها تغضب من كثرة حركة الأبناء ولكنها تذوب في حبهم، وتضجر من الزوج ولكنها لا تطيق ابتعاده عنها، وتضيق بالأب ولكنها تجتهد في الدعاء له بطول العمر ودوام الصحة.

(٤) التقلب المزاجي:

تتسبب طبيعة المزاج المتقلب لدى المرأة في تغيير مشاعرها وأحوالها وسلوكياتها وقراراتها بطريقة متسارعة وفي أوقات متقاربة وبغير سبب ظاهري واضح. ويرجع وجود هذه الطبيعة بالمرأة إلى التغيرات الجسدية والهرمونية والنفسية التي - كما ذكرنا آنفاً - تعتبر من مستلزمات قيامها بأدوارها كزوجة وأم، والتي تستوجب تأقلمها وبسرعة لمتغيرات عديدة متلاحقة وفي فترات وجيزة ومتقاربة. فهي تنتقل بكل سلاسة ... وسعادة ... من حالة العزوبية التي تعتمد فيها على أبويها إلى حالة العروس التي تعتمد فيها على نفسها في بناء ورعاية أسرتها الجديدة، كما أنها تتغير سريعاً لتتأقلم مع عريسها وتتطبع عليه، كما تتغير أيضاً عندما تصير حاملاً ثم والدة فمرضعة، تغيرات متتابعة وسريعة. ولذلك كانت الطبيعة المتقلبة للمرأة ليست أحد أرذل مثالب النساء - كما يظن كثير من الرجال - ولكنها في الواقع من ألزم لوازم قيامها بأدوارها الحيوية كزوجة وأم، والتي لولاها ما أصبح الرجل زوجاً وأباً.

(٥) الميل للأقوى والأجمل:

تتسم المرأة السوية بميلها نحو الأقوى (الذي لديه صفات قوة) والأجمل (الذي لديه صفات جمال). لذلك كان من الفطرة أن تقبل المرأة الرجل الذي يتقدم لخطبتها إن رأته مناسبا (لأن لديه صفات قوة وجمال من وجهة نظرها) أو ترفضه أن ارتأته على غير ذلك (لأن لديه صفات ضعف وقبح من وجهة نظرها). ولو انتهجت المرأة طريقاً غير ذلك وقبلت الأضعف (الذي لديه صفات الضعف)

والأقبح (الذي لديه صفات القبح) لأدي ذلك إلى تدهور الأجيال البشرية المتعاقبة. فهذه الطبيعة رغم مظهرها الانتهازي - على الأقل في نظر الرجل - إلا أنها تحض الرجل ليكتسب مصادر القوة والجمال في الأخلاق والسلوك والمظهر والمركز الاجتماعي والمادي حتى يحظى بزوجة.

إن هناك أحوال تقبل فيها المرأة الاستمرار مع الأضعف أو الأقبح بدافع الأمومة أو الشفقة أو الوفاء أو أي دوافع أخرى، كأن تظل الأم في خدمة ابنها المعاق ما أمد الله في عمرها وعمره أو تمكث المرأة مع زوجها ورفيق عمرها لا تفارقه إن أصابته ضراء في ماله أو بدنه كما لم تفارقه حال سرائه ومسرته، وأن تظل تقاسمه الحياة في مرها كما قاسمته إياها في حلوها. إن مكانة الزوجة الوفية عند الرجل لا تضاهيها مكانة، فالرجل يريد من زوجته أن تكون وفية له دائما، وفي جميع أحواله، وتحت جميع الظروف.

ويسرد لنا التاريخ قصة وفاء زوجة جعلت للوفاء بعداً آخر ... ومذاقاً آخر ... فعندما حاصر كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا دوق بافاريا في قصره وانتصر عليه، أمر بقتله مع جميع رجاله، فالتمست الدوقة ونساء قصرها أن يسمح لهن الإمبراطور بالخروج من القصر إلى مكان آمن وهن حاملات ما يستطعن حمله، فأجابهن الإمبراطور بالموافقة، فجعلت كل منهن زوجها على ظهرها وخرجت به، فلما رأى الإمبراطور ذلك وسمع أنينهن وهن يرزحن تحت وطأة أحمالهن، أعجب كثيراً بوفائهن لأزواجهن، فعفا عن الجميع.

... إنه الوفاء الذي أنقذ حياة ...

(٦) التبعـــــية:

تشعر المرأة السوية بمحورية دور الرجل في حياتها، وبأنها تابعة له، ومتعلقة به، وأنه يمثل عندها جزءاً ضرورياً، يصعب عليها للغاية الاستغناء عنه. وشعور المرأة بتبعيتها للرجل شعور طبيعي، تمليه عليها طبيعتها الأنثوية اللينة وحاجتها الملحة للأسرة والبيت والأمومة، كما أن الحياة بضراوتها تزيد من

شعور المرأة بحاجتها إلى رجل يقف بجانبها، يصونها ويحميها، ويشد من أزرها، وينفق عليها، ويقوم لها بالأعمال الحياتية الشاقة التي لا غناء عنها، فضلاً عن حاجتها الفطرية لمن يملأ عليها حياتها، ويلبي لها احتياجاتها العاطفية. إن قيام الرجل بهذه الأدوار في حياة المرأة يضعه في إطار القوامة وهو بها سعيد جدير، أما المرأة التي يؤدي معها كل هذه الأدوار فتحاط بإسار من التبعية وهي بها فرحة محبورة.

إنه من الفطرة أن يتصرف الرجل بطريقة القائد، وأن تتصرف المرأة بطريقة التابع، وكلاهما تغمره القناعة والراحة والسعادة بأدائه هذا الدور. ولذلك كان من السلوك الطبيعي عندما يستقل الزوجان سيارتهما، أن يتجه الزوج بتلقائية نحو مقعد السائق، ليؤدي دور القائد، بينما تتجه الزوجة بتلقائية أيضاً نحو مقعد الراكب، لتؤدي دور التابع.

وإذا رفضت المرأة تبعيتها الحتمية لزوجها بسبب استرجالها أو مبالغة زوجها في الاستعلاء عليها، وفي ظل عدم توافر الانسجام النفسي والعاطفي بين الزوجين. نجد أن المرأة تميل إلى نهج بعض الأساليب التي قد تزيد من تكدير صفو حياتها الزوجية، فتلجأ إلى الدهاء والحيلة لتجذب إليها زوجها، وتعمل بشتى الطرق على تطويعه. وحين تفشل في ذلك تلجأ للعناد والمخالفة والعصيان لتثبت وجودها. وحين لا يجدي ذلك لا تجد أمامها إلا الشكوى والتألم والتمارض، لعل ذلك يثمر لدى زوجها فيرق قلبه ليحتويها مرة أخرى.

(٧) الهبوط المتسارع في مستوي الخجل:

تكون الفتاة البكر - في العادة - شديدة الخجل، ولكن بعد زواجها ينسلخ عنها جزء من خجلها، فقد تفتحت أمامها آفاق جديدة من الممارسة الجنسية لم تكن تعلم عنها - على الأقل عملياً - الشيئ الكثير. وعند إنجابها لصغارها ينسلخ منها جزء آخر من خجلها، فهي إبان حملها لا مانع عندها من التكشف على الطبيب لمتابعة الحمل وهو أمر عندها غير مستهجن. وعند الولادة لا شيئ من

عورتها يمسي مستوراً، فكيف ستضع وليدها وهي مرتدية لكامل ملابسها؟. وعند الإرضاع قد لا تجد بعض النساء حرجاً في إلقام أطفالهن أثدائهن أمام الناس، بينما لا تقوى الفتاة البكر على مجرد التفكير في إخراج ثديها أمام أحد لتلعب دور المرضعة إلهاءً لطفل.

وقد يرجع هذا ـ ربما ـ لغلبة غريزة الأمومة وطلباتها الجارفة على بعض العادات والخصال، بحيث لا ترى المرأة غضاضة في التنازل عن بعض ما كانت به مستمسكة في سبيل القيام بدورها كأم على أى وجه.

الباب الثاني

الشريعة الإسلامية
وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة

لم تكن الشريعة الإسلامية الغراء يوماً سيفاً مسلطاً على المرأة، يبتر منها حقوقاً هي لها استهانة وجحوداً، كما لم تكن الشريعة الإسلامية الغراء يوماً تحابي الرجل فتهبه حقوقاً ليست له جوراً وظلماً، ولكنها كانت رحمة من خالق الناس لكل الناس ... رجالاً ونساءً. وإنما ما قضت به الشريعة الإسلامية للمرأة من تشريعات توافقت تماما مع طبيعتها ونفسيتها وما جبلت عليه من ملكات وقدرات وما أوكل إليها من أدوار ومهام، وكذلك الحال بالنسبة للرجل أيضاً.

إن حقوق الله على الرجل أكثر من حقوق الله على المرأة، فقد فرض الله على الرجل الالتزام بأداء الصلاة جماعة بالمسجد، وأداء صلاة الجمعة، وشهود الجنائز، وأمره بالقتال في سبيله دفاعاً عن الإسلام وأبنائه وأرضه وعرضه ورفعاً ليد الطغاة عن الناس حتى تصلهم دعوة الإسلام، وليس من ذلك شيئ على المرأة، فقد روى بن عباس (رضي الله عنهما) أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون. ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ ... فقال الرسول ﷺ: **"أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك. وقليل منكن يفعله"** (رواه البزار)... كما رفع الله سبحانه عن المرأة أداء الصلاة وأجل أداء الصيام وقت حيضها ونفاسها، فعن معاذة قالت: "سألت عائشة (رضي الله عنها)، فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، قالت: **كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ: فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة"** رواه الجماعة.

ووفقاً لكل هذه الاختلافات في حقوق الله على كل من الرجل والمرأة وكذلك اختلاف واجباتهما في هذه الحياة، اختلفت حقوق الرجل عن حقوق المرأة. فقد منحت الشريعة الإسلامية الرجل بعض الحقوق التي ليس للمرأة منها شيء، وأهدت المرأة بعض الحقوق التي ليس للرجل منها شيئ، وهذا من تمام عدل الله ﷻ وكمال حكمته.

الفصل الأول

حقوق الرجل الشرعية وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة

من الحقوق التي اختصت بها الشريعة الإسلامية الرجل دون المرأة الآتي:

(١) نصيب الرجل في الميراث ضعف نصيب المرأة:

جعلت الشريعة الإسلامية الغراء - في بعض الأحيان - حصة الرجل في الميراث ضعف حصة المرأة، طبقاً للنص القرآني الخالد: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء ١١). إنها هي نفس الشريعة التي أوجبت على الرجل - تحقيقاً لقوامته ووفقاً لطبيعته في العطاء - النفقة على زوجته وابنائه، فضلاً عن أنه هو الذي عليه دفع المهر، وإعداد منزل الزوجية والإنفاق عليه في حالة استمرار الحياة الزوجية، وعليه نفقة الزوجة أيضا في حالة طلاقها إبان فترة العدة، فضلاً عن مؤخر الصداق والنفقة على الأولاد، وكل ذلك فيه ما فيه من التكريم للمرأة التي في كل هذا لا تتحمل من النفقات شيئاً - تجسيداً لتبعيتها لزوجها، ووفقاً لطبيعتها في الأخذ المادي - ورغم ذلك فإن رحمة الله التي وسعت كل شيئ لم تحرمها من الميراث ... لأن للمرأة قرابة ... والأقرباء يموتون ... فيجب أن ترث.

ولي عند هذا الموقف عدة أسئلة ...

... هل ترضى المرأة إبدال إكرام الله لها بإلزام الرجل بنفقتها على هذه الصورة بأخذ ميراث مثله وفي المقابل لا يُنفق عليها من قبل زوجها؟

... أتستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير؟

... ما أحسب أن في ذلك حكمة أو سداد.

... أم تريد المرأة أن ترث مثل الرجل تماما وفي نفس الوقت تتمتع بإنفاق الرجل عليها أيضاً؟

... ما أظن ذلك عدلاً ولا إنصافاً.

... إنما الحكمة والسداد والعدل والإنصاف في شريعة رب السموات والأرض ـ سبحانه.

(٢) القـــــوامة:

الأسرة ككيان لابد له من قائد ... ولابد للقائد من قوامة ... ولابد للقوامة من تبعات ... ولابد للتبعات من قيادة رشيدة ورعاية محبة ... ويتربع على قمة هذه القيادة والرعاية الإلتزام بالإنفاق المادي. وإذا ما أخذنا في الإعتبار صفات الرجل الفطرية من حبه للعطاء المادي وعقلانيته وجرأته وقدرته على تحمل المشاق والتصدي للمشاكل، وإذا ما أضفنا نقيض ذلك بالمرأة ذات الطبيعة المزاجية المتقلبة والعاطفة الجياشة والتبعية الفطرية للزوج وحبها للأخذ المادي، وضعفها ورقتها، استطعنا أن نجيب بسهولة على السؤال المحوري التالي: لمن تكون القوامة؟ ... للرجل أم للمرأة؟

... طبقاً لما سلف ... إنها ـ وبلا تردد ـ يجب أن تكون للرجل دون المرأة.

ليس فى هذا تقليلاً من شأن المرأة ولكن فيه مراعاة لنفسيتها وتقديراً لطبيعتها من ناحية، ولاتساقها تماما مع طبيعتها هي وطبيعة الرجل أيضاً من ناحية أخرى. إن قيادة البيت تستلزم إتخاذ قرارات في بعض أمور مصيرية، وهي أمور يلزمها قدر كبير من الكياسة وضبط العاطفة والحزم، وعدم التردد والتخطيط والنظرة العقلانية. في ضوء ذلك قيم القرآن الكريم القدرات والإمكانات المختلفة للرجل والمرأة فحسم قضية القوامة في قوله ﷻ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ (النساء ٣٤).

إنها قوامة لا تعني الإستعلاء والإلغاء ... قوامة لا تعني التجبر والتسلط ... بل هي قوامة مسؤولة ... قوامة سيحاسب عليها الرجل يوم يقف أمام ربه ... ويالها من وقفة ... قوامة إذا ما انتفت قدرة الرجل عليها، كأن يكون سفيها أو ضعيفاً، ينتفى منه القيام بها.

إن عمل المرأة الآن واستغناءها الجزئي - أو الكلي - في الإنفاق عليها من قبل زوجها لا يعني أن المرأة قد استغنت عن الزوج نهائياً، ذلك لأن احتياجاتها العاطفية المستمرة التي لا تنقطع، لا تستطيع أن تنالها إلا منه. ولكن الحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن استغناء المرأة الجزئي - أو الكلي - عن زوجها في الإنفاق عليها قد أثر تأثيراً سلبياً على تركيب الأسرة وبنيانها، ترددت على أثره قوامة الرجل قليلاً أو كثيراً، فتزعزعت بسببه العديد من الثوابت التي كانت تدعم قيام وبقاء الحياة الزوجية، مما زلزل استقرار وربما استمرار العديد من الأسر، التي كانت يوماً ما آمنةً مطمئنة ... والشواهد من حولنا كثيرة.

قد يتزايد الشقاق بين الزوجين عند وجود تميز للزوجة في أحد الجوانب سواء في المستوى التعليمي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو غيره. هذا التميز قد يشعر الرجل أن جانباً من قوامته قد إهتز، فيبدأ بالتقليل من قيمة أعمال زوجته ومن قدرها ليبدو أنه الأفضل وأنه الأذكى وأنه صاحب القرار، ولذلك لابد للمرأة من التصرف بحكمة حيال زوجها، وذلك بأن تظهر ضعفها وحاجتها الماسة إليه وإلى رأيه، وأن تبين له دائما فضله فيما وصلت إليه، وألا تتباهى أمامه بإنجازاتها، وتتجنب كل ما يشعره بأنها أفضل منه، وهي كلها أمور يسهل عليها أداؤها - إن كانت سوية - لأنها تتواءم تماماً وطبيعتها الأنثوية.

(٣) شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين:

الحكم المقرر في القرآن الكريم بقول الله ﷻ: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ

ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة ٢٨٢)

والذي يبين أن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين، حتى إذا ضلت إحداهما ذكرتها الآخرى. إنه حكم يتسق تماما مع طبيعة المرأة وما تتميز به من عاطفة جياشة، وإحساس رقيق رهيف يتأثر بسهولة وعمق، وما ينتابها من تقلب مزاجي، ومن استخدام للحدس في حكمها على الأمور، وفي طريقة إتخاذها للقرار وتكوين الرأي، وفي إسلوب حوارها الذي تستخدم فيه الإيحاءات العاطفية والمبالغة. كل ذلك يعتبر - كما سبق وأن عرفنا - من مزايا المرأة التي تعينها على أداء أدوارها المحورية مع أسرتها وفي بيتها، ولكن - في نفس الوقت - يعتبر أيضاً من السلبيات التي تؤثر تأثيراً ضاراً إذا لعبت المرأة دور الشاهدة. كما أنه في بعض الجرائم المعينة مثل جريمة الزنا ... مثلاً ... ينال الاستشهاد بالمرأة كثيراً من حيائها، وبذلك لا يحبذ - إكراماً لها - إشراكها في ذلك. بينما الرجل - كما سبق وأن عرفنا - أكثر استخداماً لعقله دون عواطفه، وأقدر على التحكم في مشاعره، وأشد مقاومة للتأثر البليغ، وأثبت عند الشدائد، مما يجعله أقرب لشهادة العدل من المرأة.

(٤) تعـــدد الزوجــات:

لقيت إباحة الإسلام لتعدد الزوجات من التجريح والتطاول ما لم يلقه أي جانب آخر من جوانب نظام الأسرة في التشريع الإسلامي. فعندما أباح الإسلام تعدد الزوجات جعل له ضوابط وشروط ضمن بها مصلحة الأمة والمجتمع وحقوق جميع الأطراف، مثل حق المجتمع في تجنيبه الفتن والموبقات وحق جميع النساء في أن يصبحن زوجات وأمهات. آباح الإسلام التعدد على أساس العدل بين الزوجات في المطعم والمسكن والملبس وسائر ما هو مادي من غير تفرقة، فإن خيف الجور وعدم الوفاء بحقوقهن جميعاً، حرم على الرجل الجمع بينهن تحريماً، وتوجب عليه الاكتفاء بواحدة فقط، تحقيقاً لقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (النساء ٣).

إن ما يشوه صورة تعدد الزوجات ليس وجوده كتشريع، ولكن إساءة تطبيقه واستخدامه من قبل بعض الرجال ... والنساء ... وعدم العمل بما يرضي الله ﷻ فيه. وكذلك ما دأبت عليه أجهزة الإعلام ونظم التعليم وأدوات الثقافة طوال عقود مديدة مضت من صياغة وبرمجة للعقول والأفهام، أساءت لتعدد الزوجات وشوهته وجعلته منبوذاً بين الناس، رجالاً ونساءً على السواء. فلكم صورت هذه الأجهزة والنظم والأدوات للناس أن الزوجة الأولى مظلومة ومقهورة وضحية!!... وأن الزوجة الثانية ظالمة ومتعدية وخاطفة للرجال!!... وأن الرجل الذي مارس التعدد متخلف وأناني وظالم وحيواني!!... كما صورت للناس أيضاً زوجة الأب بصورة الجلاد، وأظهرتها مع أبناء زوجها بارعة في الاضطهاد، محترفة في التعذيب!!... حتى غدا تعدد الزوجات اليوم وكأنه جريمة لا تغتفر في حق الطفل والمرأة والمجتمع!!...

لقد أشاع المتحاملون - إذا أحسنا الظن بهم - أن التعدد لا يتفق وكرامة المرأة وحقوقها الإنسانية والاجتماعية. ولكنني أرى أن التعدد وكأنه شرع لتحقيق كرامة المرأة وتدعيم حقوقها الإنسانية والاجتماعية... كيف هذا؟

دعنا نناقش هذه القضية بمنتهى التجرد ... و سأثبت لكِ - أيتها المرأة - أنك مسكينة ... تغلقين أمامك ... وبيديك ... باب رحمة فتحه الله لك على مصراعيه.

... دعنا نناقش هذه القضية بمنتهى التجرد ... على ضوء النقاط التالية:

(١) أظهرت الإحصائيات الحديثة أن أعداد المواليد من الإناث يفوق أعداد المواليد من الذكور، كما أن أعداد الوفيات من الذكور تفوق أعداد

الوفيات من الإناث. وبعملية حسابية بسيطة يتضح لنا توافر أعداد ليست باليسيرة من النساء واللائي لا يجدن لهن نظائر من الرجال، وذلك هو أحد أهم أسباب استشراء ظاهرة العنوسة في بلادنا - إن لم يكن السبب الوحيد - فمن أين للنساء بالزواج ودفئه، والرجل وصحبته، وليس هناك من الرجال ما يكفي؟ ...

وكيف تحل معضلة العنوسة هذه حلا متوافقاً مع ديننا ويرضي الله ربنا؟

هل هناك حل آخر سوى تعدد الزوجات إلا الوقوع في الحرام؟

(٢) في ظل تشريع تعدد الزوجات، إن لم يكن لكل إمرأة رجل فلها - على الأقل - جزء من رجل ... ولكن هذا التشريع لم يضمن أن يكون لكل رجل امرأة. لتوضيح ذلك نسوق المثال التالي: ... إن كان عندنا امرأة واحدة ورجلين فسيتنافس عليها الرجلان وينتهي صراعهما بزواج أحدهما بها وبقاء الآخر ... مجففاً ... دون زواج..!!. وبالمقابل إن كان عندنا رجل واحد وأربعة نساء، فستضمن كل واحدة منهن - بالتعدد - أن يكون لها نصيب في هذا الرجل. وكأني بالتشريع الإسلامي يظهر اهتماماً بالفائض من أعداد النساء - مهما كان كثيراً - ويضع له حلولاً فطرية تلبي احتياجاتهن، وكأني به لم يعبأ بالفائض من أعداد الرجال مهما كان قليلاً!!! ... فمن الرابح في هذه الصفقة؟ ... الرجال أم النساء؟.

وهنا يبرق إلى الذهن سؤال ... أيخفى على التشريع الإسلامي الاهتمام بالفائض من أعداد الرجال؟

بالطبع لا...

إن التاريخ البشري كله على رحابته واتساعه لم يحدثنا عن فترة من عمر البشرية إزدادت فيها أعداد الرجال عن أعداد النساء، إنما الحال دوماً كان على العكس ... إنما الحال دوماً كان توافر أعداد زائدة من النساء يقابلها أعداد أقل من الرجال - وذلك لأسباب عديدة لسنا بصدد حصرها -

ولأجل هذا كان تعدد الزوجات قائم منذ قديم الأزل، ولكن صحبته عشوائية وظلم كبيرين.

(٣) ثبت في العقود الأخيرة أن أعداد المقبلات من النساء الأوربيات والأمريكيات (السود بالذات) على اعتناق الإسلام فاق كثيراً أعداد المقبلين من رجال أوربا وأمريكا على اعتناق الإسلام، وبالتالي لم تجد النساء المسلمات الجدد العدد المناسب من المسلمين الجدد للزواج بهن ... منهن من صبر وقليل ما هن ... وأكثرهن لم يصبر ... فتزوجن بغير المسلمين!!... أو ارتددن عن الإسلام ليتزوجن!!... فتصرفن كالمستجير من الرمضاء بالنار ... من يرضى بهذا الوضع؟ ... ألم يكن التعدد حلاً لإبقائهن على دين الله؟

(٤) إن الزواج ـ كما يوقن المتزوجون ـ ليس كله نشوة متع فقط ولا رهق مسؤوليات فقط، وإنما هو مزيج بينهما يغلب عليه ثقل المسؤوليات والتبعات ... وهذا من البداهات التي إذا نوقشت كانت جدلاً مضيعاً للأوقات والجهود. وبناءً على ذلك، أضحى الرجل الذي سيتزوج على زوجته إنما يضيف بذلك ـ كمحصلة لزواجه الجديد ـ مسؤوليات أخرى فوق أعبائه. أما المرأة التي تزوجها على زوجته والتي لم يكن لها بيت ولا زوج ولا أبناء، أمسى الآن عندها ـ بعد زواجها منه ـ بيت هي ربته، وزوج هو شريكها، وأبناء تنمو بهم ومعهم غريزة الأمومة، فأي طرف كان في مسيس الحاجة للتعدد ... الرجل المتزوج أم تلك المرأة التي لم يكن لها رجل؟... من الرابح في هذه الصفقة؟ ... الرجل أم المرأة؟

(٥) إذا عزم رجل متزوج على الزواج مرة أخرى فسيتزوج ممن؟ ... من رجل مثله أم من امرأة؟ ... بالطبع من امرأة ... إذن ... كيف رضيت هذه المرأة الثانية أن تكون زوجة لرجل متزوج؟ ... كيف رضيت هذه الزوجة الثانية أن تشترك مع الزوجة الأولى في رجل واحد؟ ... لابد وأن طبيعتها كأنثى تسمح

لها بأن تقبل اشتراكها مع أخرى في رجل واحد. إن العكس غير وارد بالمرة، فالرجل السوي بفطرته الغيورة لا يقبل بأي حال من الأحوال شريك معه في امرأته أبداً ... هذا أمر تهراق في سبيله الدماء وتزهق لأجله الأرواح.

قد يقولون ـ دفاعاً عن الزوجة الثانية ـ أن لها ظروفاً خاصة دفعتها للزواج به ... وقد يقولون ـ دفاعاً عن الزوج ـ أن له ظروفاً خاصة دفعته للزواج ثانية ... وأقول ... طابت شريعة تأخذ في اعتبارها مثل هذه الظروف الخاصة.

(٦) سبق وأن ذكرنا أن مساحة التفكير في الجنس بعقل الرجل أكبر من ذات المساحة بعقل المرأة، كما أن فكرة التعددية الجنسية تراود عقل الرجل دون المرأة، فما هي الترجمة العملية الحلال لذلك سوى التصبر والمجاهدة أو تعدد الزوجات؟ وهل كل الرجال يستطيعون التصبر والمجاهدة؟ ... بالقطع لا ... وهل كل الرجال يطيقون الزواج بأكثر من واحدة؟ ... بالقطع لا ... إن الحل يتأرجح بين الطرفين ... قد يكون الحل الأول هو الأمثل في أحوال وأزمان ... وقد يكون الحل الثاني هو الأمثل في أحوال وأزمان أخرى.

... إن ذلك من أخص خصائص التشريع الإسلامي ... أنه تشريع يصلح لكل زمان ومكان وفي جميع الأحوال وتحت ظل مختلف الظروف.

(٧) إن مرور بعض الرجال بمرحلة المراهقة المتأخرة التي قد تصل درجة عنفها عند القلة منهم إلى أن تصبح فوقهم قاهرة لتجعل من التعدد ... مهما كان ... متنفساً حلالاً ... ولأن البديل ـ لكونه حرام ـ في منتهى المرارة.

أختي تذكري أننا لازلنا نناقش هذه القضية بمنتهى التجرد ...

تذكري أن هناك دوماً امرأة تقف منتظرة ... لا يحتويها رجل، حائرة ... في الدنيا وحيدة لا تشعر بأمان ... من الأمومة محرومة، بلا عنوان ... أليس لها حق في أن يكون لها زوج يلبي احتياجاتها العاطفية والنفسية والجسدية، وينفق عليها

ويصونها مثلك؟ أليس لها حق في أن يكون لها بيت هي ملكته مثلك؟ أليس لها حق في أن يكون لها أطفال تعمل فيهم وبهم عاطفة الأمومة مثلك؟... من الخاسر من بقائها هكذا بلا زواج؟ ... أليست هي ... وهي امرأة ... مثلك ... ثم بعد ذلك يبوء المجتمع كله بالخسران لفقده عضواً منجباً بناءً، من الممكن تحوله وبسهولة - بسبب الحرمان من ممارسة حياته الطبيعية الفطرية - إلى عضو معقد هدام. ثم أترضين أن تكوني مكانها؟ ... وإن كنت مكانها أما كنت ستأملين أن يكون لك زوج؟ ... حتى ولو كان متزوجاً؟ ... أختي ... تذكري الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**". واجعلي هذا الحديث نصب عينيك وملء عقلك ومحركاً لجوارحك، تنالين الأجر والثواب من رب العباد.

... وأتساءل ...

... لماذا لا نجعل من تعدد الزوجات فرصة لفتح آفاق جديدة للتقوى وكفالة أيتام ورعاية أرامل ومساكين وصيانة أعراض وحفظ دين وزيادة لنسل المسلمين ... لماذا؟

... لماذا لا نجعل من تعدد الزوجات تطبيقاً عملياً لأحاديث النبي ﷺ كالحديث الذي رواه البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**" وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. والحديث الآخر الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**" وأحسبه قال: "**والقائم الذي لا يفتر، والصائم لا يفطر**".

ولا أريد من القراء الكرام أن يعتقدوا أني من أنصار تعدد الزوجات ... على إطلاقه ... ولكنني أريد فقط من القراء الأفاضل ألا يركبوا الموجة العاتية التي تهاجم الإسلام في ميادينه كلها وخاصة الاجتماعية منها ...

أريد فقط من القراء الأعزاء ألا يستهجنوا الشريعة الإسلامية ولا يزدروها، لأنها من عند الله ﷻ، المنزه عن الأهواء والأطماع، وهو ﷻ أعلم منا بما يصلحنا...

أريد فقط من القراء الأحباء ألا يمتعضوا عند سماعهم بأن أحداً قد تزوج ثانية ... فهو لم يرتكب إثما ... إذا أخذ الأمر بحقه ...

... هذا كل ما أريده ... فقط.

وأحب في الختام أن أذكر أنني ـ في تصوري ـ قد أخطأت بوضع موضوع تعدد الزوجات ضمن حقوق الرجل ـ والصواب ـ بعدما استعرضناه ووعيناه ـ أنه من حقوق المرأة التي يجب عليها أن تستميت في الإستمساك به والذود عنه ... لا أن تغلق أمامها ... وبيديها ... باب رحمة فتحه الله لها على مصراعيه. بل لا أجدني قد تجاوزت الحق إن قلت أن تعدد الزوجات هو من واجبات الرجل وليست من حقوقه، فكل امرأة تظل بلا رجل سواءً كانت عانساً أو مطلقة أو أرملة هي مسؤولية كل الرجال، حتى تنضوي تحت ظل أحدهم كزوجة ... عزيزة ... مكرمة.

الفصل الثاني

حقوق المرأة الشرعية
وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة

من الحقوق التي اختصت بها الشريعة الإسلامية المرأة دون الرجل ما يلي:

(١) حق المرأة في إنفاق زوجها عليها:

جعل الله ﷻ المرأة - بموجب الشريعة الإسلامية الغراء - مكفولة النفقة من الزوج، فلا تتحمل من نفقات بيتها شيئاً، حتى لو كانت موسرة، وفي غير حاجة إلى نفقة. إن إنفاق الرجل على زوجته ليس تفضلاً منه ومِنّة، إن شاء أعطاها وإن شاء منعها، ولكنها فريضة عليه، ولازمة من لوازم قوامته، ودعامة أساسية من دعائم رجولته، وتعبير صادق لطبيعته - كرجل - في العطاء المادي وطبيعة زوجته - كامرأة - في الأخذ المادي. وبهذا وفر الإسلام للبيت مناخة المناسب، وأتاح للأم من هدوء نفس وراحة بال وطول وقت وجل جهد ما تشرف به على صغارها، وما تتهيأ به لزوجها من بشاشة وزينه.

(٢) الاستقرار في البيت:

لم تكن المرأة يوماً في ظل الإسلام دفينة بيتها كسقط متاع كما يظن البعض، كما أنها لم تكن منطلقة على وجهها بلا حدود أو قيود كما يخطط لها اليوم ويراد. إن للمرأة في ظل الإسلام أدواراً كبيرة إلى جانب الرجل ووظائف عديدة في مستوى وظائف الرجل أهمية وخطورة ... والشواهد التاريخية التي تؤيد ذلك أكثر من أن تحصى.

إن هذا الدين لم يُحرم المرأة من أن تزاول العمل ... بل أباحه لها وفق شروط وضوابط ... حفظت لها كرامتها ومكانتها ... وساندتها في تنمية أمومتها وإنسانيتها ... وعضدت دورها في مجتمعها كمزارعة وصانعة ومعلمة وطبيبة

وعالمة وداعية و ...... و...... و...... ، وفي ذات الوقت صانت الأمة والمجتمع ممن تسول لها نفسها إيذاء الناس بتبرج سافر أو تصرف جائر.

إن البيت هو مملكة المرأة التي تجد فيه نفسها، وأن استقرارها فيه يتناغم مع فطرتها التي تؤزها لتجعله يتربع على قمة أولوياتها واهتماماتها. ولقد أقر الإسلام للمرأة الاستقرار في البيت بإشارته الرقيقة في قول المولى تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب ٣٣). إن القيام بشؤون البيت وطلبات الزوج والأبناء عمل ـ كما يعلم الناس ـ شاق لا ينتهي، تزرع فيه المرأة لأسرتها راحة الحاضر ولأمتها عظمة الغد، وتحتضن فيه الأطفال ... رجال الغد ونساءه ... أغلى كنز على وجه الأرض، ويالها من مهمة جليلة بعيدة الأثر.

وبقدر جلال هذه المهمة وبعد أثرها، فقد لاقت من الإحتقار والإمتهان ما لاقت من صناع حضارة الغرب والموالين لهم من أبناء أمتنا. ولنا أن نتصور إلى أي درك من الإنحطاط الإجتماعي أدى ذلك التآمر الذي حقر من وظيفة المرأة الأساسية المحورية في بيتها ومع ابنائها. وأي خديعة تلك وأي جرم ذاك الذي يحدث عندما صدقت المرأة كل ما صب في أذنها من زخم عبارات وورنق شعارات، طعمها كالعسل أثرها كالسم، زينت وزيفت لها إثبات ذاتها خارج بيتها، في عمل تتكسب منه وتنال أثناءه من الإرهاق الجسدي والنفسي والعقلي ما تناله، لتعود إلى بيتها مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة.

إن تحوير الفطرة بهذا الإسلوب ودفعها لتحيد عن طريقها المرسوم من قبل خالقها عز وجل لهي خيانة عظمى لأمانة ثقيلة في الأعناق ... أمانة تربية الأبناء على ما يرضي الله سبحانه ... أمانة تنشئتهم على حب الوطن والأهل والعشير ... أمانة تعلمهم البذل والعطاء والتضحية... إنها جريمة كبرى ليست في حق هذا الجيل من البشر فقط، ولكن أيضا في حق سائر الأجيال القادمة ... جريمة أشد في وقعها من إبادة جيل كامل بقنابل ومتفجرات.

لقد تجرع أعداء الفطرة مرارة هذه الفكرة تحت دعاوى المساواة بين الرجل والمرأة مما دفع الروائية الإنجليزية الشهيرة "**أجاثا كريستي**" لتقول: "إن

المرأة مغفلة، لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوما بعد يوم، أننا بذلنا الجهد الكبير للحصول على حق العمل والمساواة مع الرجل، ومن المحزن أننا أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف، ثم نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللذين كانا من نصيب الرجل وحده". كما فطنت المحامية الفرنسية "كريستين" إلى هذه الحقيقة حين زارت الشرق المسلم فكتبت تقول: "سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كل من بيروت ودمشق وعمان وبغداد، وها أنا أعود إلى باريس، فماذا وجدت؟ ... وجدت رجلاً يذهب إلى عمله في الصباح، يتعب ويشقى ويعمل، حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حب وعطف ورعاية لها ولصغارها. المرأة في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية الجيل، والعناية بالرجل الذي تحب. في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل وفر لها خبزاً وراحة ورفاهية. وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة فماذا حققت؟ المرأة في أوروبا سلعة، فالرجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك، فأنت قد طلبت المساواة. ومع الكد والتعب لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها، وينسى الرجل شريكته، وتبقى الحياة بلا معنى"!!.

لقد كشف التحقيق في قضية انتحار "مارلين مونرو" أشهر ممثلة إغراء في سينما القرن العشرين عن رسالة كانت قد كتبتها قبيل انتحارها بقليل، وجدت محفوظة ببنك مانهاتن بنيويورك، أوضحت بها حالتها النفسية التي دفعتها للإنتحار وهي في أوج شهرتها وقمة مجدها الفني. كتبت مارلين مونرو: "احذري المجد ... احذري ما يخدعك بالأضواء. إني أتعس أمرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أماً. إني أمرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة الطاهرة، فهذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة ... بل الإنسانية. لقد ظلمني الناس. إن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة".

ونتلفت إلى الواقع الذي نحياه ... فتسمع الناس ... جل الناس ... رجالاً ونساءً يقولون: "تحت قسوة ضآلة دخل الرجل، يصبح عمل الزوجة لا غناء عنه للمساعده في الإنفاق، وتلبية احتياجات الأسرة الأساسية".

... نعم ... هذا واقع ... وواقع أليم ... وأليم جداً ...

... واقع رسمته الجاهلية الحديثة، فأذاقت الناس ... كل الناس ... مرارة الحياة وذل العيش ...

... واقع كرسه ابتعاد الناس عن رب الناس في أقوالهم وأفعالهم ... في طموحاتهم وأحلامهم ... في وسائلهم وأهدافهم ...

... واقع خطته الأنظمة الفاسدة التي نهبت الثروات وأضاعت الأعمار ...

... واقع يمثل مزقة واحدة في ثوب جاهلي أنَّ من كثرة مزقاته ... ثوب تدنى إلى مستوى لم يعد يصلح معه الترقيع والرفي ... فلا حل يرتجى إلا بخلع هذا الثوب الجاهلي المتسخ المهترئ وطرحه مع بقية أمثاله من النفايات في مزبلة التاريخ ... وإبداله بالثوب الإسلامي الناصع الجديد ...

... وعندها سنداوي ليس فقط قضايا المرأة، بل أيضاً جميع أمراض ومثالب المجتمع الأخرى التي فاقت حد الحصر... عندها سيعود المجتمع كما كان رائعاً راقياً غنياً مكسياً بأجل وأجمل الحلل ... حلة هذا الدين. هكذا أخبرنا الله ﷻ في محكم التنزيل ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف ٩٦)

(٣) تفضيلها بالبر:

اختص الله المرأة بتجرع آلام الحمل ومتاعب الولادة ومشاق حضانة الأطفال ورعايتهم وخدمتهم، فحباها رسول الله ﷺ بمزية خاصة غالية ثمينة، ذلك بأن حض ابنها على برها وصحبتها أضعاف ما حضه على بر أبيه وصحبته، فقد جاء في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: "**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك... قال: ثم من؟ قال: أمك... قال: ثم من؟ ... قال: أمك ... قال: ثم من؟ ... قال: أبوك**".

أي جائزة تلك أفضل من - أو حتى تعدل - هذه الجائزة؟ ... إنها جائزة تكافأ بها الأم عند كبرها ورقة عظمها وازدياد حنينها... تتويج جهدها المرير الطويل ... المضني الثقيل ... مع ولدها ... مذ كان جنيناً يرتع في أحشائها ... حتى صار رجلاً فتياً نافعاً ... إنها الجائزة التي لا تدانيها جائزة... لأنها جاءت في وقتها ... ومن فلذة كبدها ... في أطراف عمرها.

(٤) غـــريزة الأمومـــة:

تعتبر غريزة الأمومة من أقوي الغرائز الفطرية وأعمقها أثراً في نفس المرأة السوية. إنها تدغدغها منذ طفولتها المبكرة، حين تحتضن دميتها وتعتنى بها وتمارس معها دور الأم وهي في غاية السعادة والحبور، ومع الأيام تكبر الصغيرة وتكبر معها هذه الغريزة. لقد بلغ من عميق أثرها أنها رتبت وشكلت أولويات واهتمامات المرأة فجعلت البيت يقف على قمة هذه الأولويات والإهتمامات، ولولا أنها غريزة جارفة ملحة لعزفت العديد من النساء عن تحمل مسؤوليات الزواج ومتاعب الحمل ومشاق الولادة وتربية الصغار ... ولولا أنها غريزة ضاغطة مهيمنة ما أزت المرأة أزاً إلى تفضيل أعمال بعينها والإبداع فيها مثل التدريس للاطفال والتمريض وممارسة مهنة طب الأطفال ورعاية الأيتام ... إلخ.

إن الأمومة حق أصيل للمرأة لا يدانيه أي حق آخر، ولا يعوضها عنه نجاح مبهر في عمل، أو نشاط مذهل في مجتمع، ولا تصلح وفرة المال له بديلاً، ولا علو الوضع الاجتماعي كذلك. والمرأة السوية حين تخير بين أمومتها وبين أي شيئ آخر مهما كان، فإنها تختار الأمومة ... بلا أدنى تردد.

ولقد أخطأت أغلب الجمعيات النسائية وزاغت عن الأصوب حينما انصرفت عن معالجة قضية المرأة الأولى وهي حقها في أن تكون زوجة ... وأن تكون أماً ... حقها في إحياء وإنماء غريزة الأمومة الأصيلة بها ... واتجهت إلى مناحي كثيرة ... صحيح أن هذه المناحي كانت لها فوائد جمة، كمحو أمية أو رعاية طبية واجتماعية أو تنمية ثقافية وفكرية وغيرها ... ولكن تجاهل الأمومة، وهي قضية المرأة الأولى التي داعبت خيالها وتوغلت في قلبها وملكت عليها وجدانها مذ كانت طفلة صغيرة، أمر في غاية الغباء ... والخطورة.

وأقتبس هنا بعض من كلمات الشيخ علي الطنطاوي (رحمه الله) كاتباً في هذا الصدد "**حين تجتاح العنوسة مجتمعاتنا، نجد من ينادي بتحرير المرأة ومساعدتها على نيل حقوقها. أوليست الأمومة أولى هذه الحقوق؟ إننا نؤيد بهذا الصدد آراء العالم الإنجليزي جون بوولبي الداعية لإعطاء المرأة حقوقها الحقيقية أولا وهي الأمومة ومركزية الدور التربوي والأسري. فمن العبث أن تكسب المرأة عندنا معركة الحقوق الأجنبية لتجد نفسها خارج أنوثتها وأمومتها ودورها الأسري المحوري**".

لقد أعطى الإسلام بحض الشباب على الزواج. كما ورد في حديث شريف رواه الجماعة عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**". و بتعدد الزوجات أيضاً، الفرصة كاملة للنساء ... كل النساء ... لأن يصبحن زوجات، وأن يصرن أمهات، حتى تتفجر فيهن غريزة الأمومة كينبوع رقراق. وأتاح المكث في البيت والإنفاق من قبل الزوج للنساء ... كل النساء ... أن يبذلن جل أوقاتهن لأبنائهن، لتنتعش بهم ولهم غريزة الأمومة. وتوج بر الأبناء وحسن صحبتهم لأمهاتهم ذلك الجهد المضني الذي بذلته النساء ... كل النساء ... أثناء أداء تبعات ومسؤوليات غريزة الأمومة.

... في أي منهج تجدون هذا الجمال وذاك الكمال؟...

... إنه منهج واحد متفرد ... يقوم عليه خيري الدنيا والآخرة ...

... إنه دين الله الخالق الرازق المالك الرحيم الحكيم العليم الخبير ... سبحانه وتعالى عما يشركون ... سبحانه وتعالى عما يصفون.

خاتمـــة

لقد عرفنا ... وعلمنا ... وفقهنا ...

... عرفنا ذاك القدر الهائل من الاختلافات بين شريكي العمر ...

... وعلمنا على أي درجة من سلم الإدراك الصحيح الواعي كنا نقف ...

... وفقهنا إلي آي حد كان عدل وحكمة الشريعة الإسلامية في توزيع الحقوق والواجبات بتطابق مذهل مع الاختلافات العضوية والفسيولوجية والنفسية لكل من الرجل والمرأة ...

... فماذا بعد؟ ...

... لقد حان الآن دور العمل ... طبقاً لما عرفناه ... وعلمناه ... وفقهناه.

آخي الزوج الكريم ... لابد وأن تراجع حساباتك وتعيد ترتيب أوراقك ... لابد وأن تعيد نظرتك إلى زوجتك الرقيقة الحانية الضعيفة... تعيد تقييم ما فات ... لتستدرك ما هو آت ...

ربما تكون قبل ذلك قد تجاهلت مشاعرها، وسفهت عقلها، وازدريت مزاجها المتقلب، وضقت بكثره إلحاحها، وضجرت من طريقة تفكيرها، واستهجنت إسلوب حوارها، وحقرت اهتماماتها وقدراتها على تحمل المشاكل والهموم.

... نعم ... ربما تكون قد فعلت ذلك في السابق ... ولكن الآن هذا غير جائز بالمرة ... فقد آضحى ذلك من الآن في طيات التاريخ البائد ... خاصة وأنك الآن قد علمت من طبيعة زوجتك كامرأة ما علمت ... زوجتك التي جعلها الله بين يديك شريكاً أميناً وصاحباً مؤنساً وخادماً وفياً ... لولاها ما تفيأت كزوج بظلال الزوجية الوارفة ... ولا تدثرت كأب بدفء غريزة الأبوة الجارفة.

وأنت أيضاً أيتها الأخت الزوجة الكريمة ... آن الأوان لكي تنظري إلى زوجك الكريم الأمين نظرة مختلفة ... كيف كنت معه وله في الماضي؟ ... وماذا تأملين أن تكوني معه وله في المستقبل؟ ...

ربما تكوني قبل ذلك أسأت إلى رجولته، وأنقصت من مكانته، وأرهقت أعصابه، وأشغلت فكره بسفاسف الأمور، فأوغرت صدره، وأوضعت أمره.

... نعم ... ربما تكوني قد فعلت ذلك في السابق ... ولكن الآن هذا غير مقبول بالمرة ... فقد أمسي ذلك من الآن في ثنايا الماضي السحيق ... خاصة وأنكِ الآن قد علمتِ من طبيعة زوجكِ كرجل ما علمت ... زوجكِ الذي سخره الله لخدمتك ... منفقاً ماله - قدر طاقته - عليك ... باذلاً وقته - قدر جهده - لك ... تعيشين تحت ظله ... وتحملين اسمه ... فلولاه ما كنت زوجة حانية ... ولا أينعت ثماراً جانية.

الزوجان الكريمان ... احذرا ألا تعملا بما تعلما ... احذرا أن ينطبق عليكما قول الشاعر:

وعـــــالم بعلمـــــه لم يعملـــــن ... معـذب في النـار قبـل عبـاد الـوثن

الزوجان الكريمان ...

... عرفتما فالزما ...

المراجـــع

١. أحمد عبد الله. مقالات بالشبكة العنكبوتية.

٢. أكرم رضا. قواعد تكوين البيت المسلم، أسس البناء وسبل التحصين. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

٣. ألان وباربرا بيز. لماذا لا يستطيع الرجال أداء أكثر من مهمة في وقت واحد ولا تستطيع النساء الصمت. مكتبة جرير. ٢٠٠٥ م.

٤. المرأة المسلمة. نحو جيل مسلم. دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٥. جمال ماضي أبو العزايم. موقع بالشبكة العنكبوتية.

٦. جون جراي. الرجال من المريخ، النساء من الزهرة. ترجمة د. حمود الشريف. مكتبة جرير، ٢٠٠٤ م.

٧. جون جراي. الرجال والنساء والعلاقات بينهما. مكتبة جرير، ٢٠٠٤ م.

٨. ديبورا تانين. أنت لا تفهمني – النساء والرجال في حوار. مكتبة جرير، ٢٠٠٣ م.

٩. سميحة محمود غريب. زواج بلا مشاكل. دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٥ م.

١٠. سيد قطب. في ظلال القرآن. دار الشروق، ١٩٨٠ م.

١١. طارق كمال النعيمي. سايكولوجية الرجل والمرأة. المشكلات الزوجية أسبابها وطرق علاجها. دار إحياء العلوم، ٢٠٠٠ م.

١٢. طه عبد الله العفيفي. من وصايا الرسول. الجزء الثاني. دار الاعتصام، ١٩٨٩ م.

١٣. عادل صادق. مقالات بالشبكة العنكبوتية

١٤. عبد المتعال محمد الجبري. المرأة في التصور الإسلامي. مكتبة وهبة، ١٩٨٦م.

١٥. علي عبد الله طنطاوي. الأسرة بين الشرع والقانون. نحو جيل مسلم. دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٨٠م.

١٦. غرف دردشة بالشبكة العنكبوتية.

١٧. فتحي يكن. الإسلام والجنس. مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٨. محمد المهدي. مقالات بالشبكة العنكبوتية.

١٩. محمد عزة دروزة. المرأة في القرآن. منشورات المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧م.

٢٠. محمد عفيف الزغبي. مختصر سيرة ابن هشام (السيرة النبوية). دار الوفاء للطباعة والنشر. المنصورة، مصر، ١٩٨٢م.

٢١. محمد علي قطب. الحب والجنس من منظور اسلامي. مكتبة القرآن. القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٢. محمود مهدي الإسلامبولي. تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد. بيروت، ١٩٨٤م.

٢٣. منير عامر. حديث إلى الأمهات. مطبوعات أخبار اليوم. الكتاب الثالث، ١٩٩٧م.

فهرس المحتويات

مقــدمة ٧
الباب الأول : نظرات في نفسية الرجل والمراة ١١
الفصل الأول : أهم الاختلافات بين الرجل والمرأة وأثرها السلوكي ١٥
أولا : في التركيب العضوي والفسيولوجي ١٦
ثانيا : في التفكير ٢٥
ثالثا: في الحوار ٢٧
طريقة الحوار ٢٧
موضوع الحوار ٢٨
روح الحوار ٢٩
اتجاه الحوار ٣٠
نوع الحوار ٣٠
إسلوب الحوار ٣١
تجسيد الحوار للألفة والاستقلالية ٣٣
رابعاً: في الإنصات ٣٣
خامساً: في الأولويات والاهتمامات وطرق تحقيق الذات ٣٤
سادساً: في العطاء والأخذ المادي ٣٨
سابعاً: في العطاء والأخذ النفسي ٣٩
ثامناً: في طريقة التحفيز على البذل والعطاء ٤٠
تاسعاً: في عناصر القوة ٤١
عاشراً: في القدرات المكانية ٤٢
حادى عشر: في طلب المساعدة ٤٣
ثاني عشر: في تحمل المشاكل ٤٥
ثالث عشر: في طريقة التعبير عند الشعور بالضيق أثر مواجهة الضغوط والمشاكل ٤٥
رابع عشر: في آلية تقديم المساعدة ٤٦
خامس عشر: عند توجيه اللوم والاعتراف بالخطأ ٤٩
سادس عشر: في تشكيل الرأي واتخاذ القرار ٥٠
سابع عشر: في الجسارة وخوض الأخطار ٥٣
ثامن عشر: في طلب الراحة ٥٤

تاسع عشر: في التطوير والتغيير ٥٤
عشرون: في تقدير القيمة النفسية والمادية للهدايا ٥٥
واحد وعشرون: في سرعة الإستجابة للمؤثرات والتغير من حالة إلى أخرى ٥٦
ثاني وعشرون: في استقبال العطف وإظهار الضعف ٥٨
ثالث وعشرون: في الاحتياجات العاطفية ٥٨
أ) الحب كاحتياج عاطفي لكلا الجنسين ٥٩
ب) الاحتياجات العاطفية الأساسية للرجل ٧٠
١ـ القـــبول ٧٠
٢ـ الثقـــــة ٧٠
٣ـ التقــــدير ٧١
جـ) الاحتياجات العاطفية الأساسية للمرأة ٧٢
١ـ التفهـــــم ٧٢
٢ـ الرعـــاية والاهتمـــام ٧٣
٣ـ الاحــــترام ٧٤
رابع وعشرون: في الانجذاب العاطفي ٧٩
خامس وعشرون: في التعبير عن الحب ٨٠
سادس وعشرون: في الغيرة الزوجية ٨٦
سابع وعشرون: في الاحتياج للعلاقة الجنسية وآلياتها ٨٩
أولاً: قبل المباشرة الجنسية ٩٠
ثانياً: أثناء المباشرة الجنسية ٩١
ثالثاً: بعد المباشرة الجنسية ٩٣
الفصل الثاني : الأحوال النفسية الخاصة بكل جنس ٩٥
أولاً: أحوال نفسية خاصة بالرجل ٩٥
(١) حالة الانسحاب والابتعاد ٩٥
(٢) المراهقة المتأخرة ٩٦
ثانيا: أحوال نفسية خاصة بالمرأة ٩٨
(١) العاطفة الجياشة ٩٩
(٢) الوضوح والتستر الجسدي ٩٩
(٣) الجمع بين النقائض ١٠٢
(٤) التقلب المزاجي ١٠٣
(٥) الميل للأقوى والأجمل ١٠٣

(٦) التبعـــية ١٠٤
(٧) الهبوط المتسارع في مستوي الخجل ١٠٥
الباب الثاني : الشريعة الإسلامية وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة.. ١٠٧
الفصل الأول: حقوق الرجل الشرعية وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة ١٠٩
(١) نصيب الرجل في الميراث ضعف نصيب المرأة.. ١٠٩
(٢) القـــوامة.. ١١٠
(٣) شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين ١١١
(٤) تعـدد الزوجـات ١١٢
الفصل الثاني : حقوق المرأة الشرعية وموافقتها لطبيعة ونفسية الرجل والمرأة.. ١١٩
(١) حق المرأة في إنفاق زوجها عليها ١١٩
(٢) الاستقرار في البيت ١١٩
(٣) تفضيلها بالـبر ١٢٢
(٤) غـريزة الأمومـة ١٢٣
خاتمـــة ١٢٥
المراجـــع ١٢٧
فهرس المحتويات ١٢٩

هذا الكتاب

على الرغم من أنها ستصبح زوجته، أو هي زوجته بـالفعل ، ومنذ سـنوات مديدة مضت ... فقد عجز عن فهمها ومعرفتها ... لقد بـذل كل ما يسـتطيع – في حدود فهمه – ليسعدها ويسعد بها ... إلا أنه أتعسها وتعس بها.

و على الرغم من أنه سيصبح زوجها، أو هو زوجها بـالفعل ، ومنذ سـنوات عديدة مضت ... فقد عجزت عن فهمه ومعرفته ... لقد بذلت كل ما تسـتطيع – في حدود فهمها – لتسعده وتسعد به ... إلا أنها أتعسته وتعست به.

... لماذا؟ ...

إنه لم يفهمها، وهي أيضاً كذلك لم تفهمه، فتولدت مشـكلات ضخمة عكرت صفو حياتهما معاً.

من أجل ذلك جاءت كلمات هذا الكتاب ... جاءت لتوضيح قضية فهم الرجل لزوجته ، كامرأة وفهم المرأة لزوجها كرجل ... وهي قضية - على خطورتها وأهميتها - لم تحظ بالاهتمام المعرفي الكافي.

إنه كتاب لا غناء عنه لكل شاب وفتاة على أعتاب الحياة الزوجية، لبدء حـياة زاخرة بالتفاهم والحب ... لا غناء عنه لكل رجل وامرأة مر على زواجهما فترة من زمان، عصفت بها مشاكل وشابتها خلافات، لتنعم حـياتهما من جديد بـدفء الود والقرب والحب.

نسأل الله أن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية ،،

وهو الهادى ، والموفق إلى صراطه المستقيم ،،،

الناشر

دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع
18 شارع مطر - احمد حلمي - شبرا مصر - ت: 0101068135
newandalus@hotmail.com